لعنة إسراء

لعنة إسراء

علياء عبدالباري

The curse of Israa

Alyaa Abd Albari

الطبعة الاولى 2021

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة للدار وللمؤلف علياء عبدالباري، حسب قوانين الملكية الفكرية للعام 1988، ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الطرفين.

First Published by Dar Sotour For Publishing and Distribution

Baghdad _ Iraq _ Al Mutnabi street _ Jadeed Hasan Basha Entry

Revised copyright © Dar Sotour And Alyaa Abd Albari، The right of the Author of this work has been asserted in accordance with the Copyright، Designs and Patents Act 1988.

إصدار دار سطور للنشر والتوزيع

العراق ــ بغداد ــ شارع المتنبي ــ مدخل جديد حسن باشا

ص. ب 74090

الرمز البريدي 12114

هاتف: 07711002790 ــ 07700492576

email: bal_alame@yahoo. com

هام: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، أو محررها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر

ISBN: 978- 1- 77472- 012 -7

رواية

لعنة إسراء

علياء عبدالباري

(ما يوجد في عقلي ويسيطر على افكاري ويعيش في قلبي ويسرى
في عروقي ودمي يجب ان يخرج للحياة)

لويس بريل

الإهداء

أهدي هذا الكتاب الى إسراء التي بقيت تظهر أمامي بنظراتها الحزينة العميقة حتى جسدتها في هذه الرواية لتنقل رسالتها للعالم!

- 1 -

الحرب الطائفية التي اشتعل فتيلها بانفجار مرقد الاماميين العسكرين في سامراء هو وصمة عار بوجه من اشعلها ومأساويه بتاريخ العراقيين حيث حصلت مجازر كثيرة وقتل على الهوية وجرائم كثيرة تكتب بالدم بكل العراق خصوصاً في الجنوب فمنطقتي التي اعيش بها على الرغم من انها قرية صغيرة جنوب البصرة ألا انها لم تسلم من الدم فتلوثت بالطائفية، وظهرت لنا جماعات غريبة تحمل شعارات دينية وشعارات اخرى غريبة وقامت بتفخيخ الجامع الوحيد في قريتي وقتل بعض المصليين داخله حتى السيد علاء امام وخطيب الحسينية في قريتنا قاموا بقتلة فقط لأنه قال في خطبة الجمعة لا يجوز قتل الناس بسبب دياناتهم ومذاهبهم!

ودعا الى وجوب حمايتهم وابلاغ الشرطة حول اي تجاوزات تحصل لهم لكن العصابات كانت تصول ولها سلطة اقوى من الشرطة، حصلت فوضى كبيرة لمدة سته اشهر بعدها تغيرت القيادات في الشرطة وتم اطفاء فتيلة الفتنة الطائفية تدريجاً ليس بعموم العراق ولكن في قريتي على الأقل!

في أحد الايام استيقظت على صوت والدي وهو يطلب مني ان استيقظ بسرعة واساعد جيراننا الجدد في انزال حقائبهم واغراضهم الى البيت فنهضت لأساعدهم كان هناك عمال اثنان والرجل الذي يريد تأجير البيت بدا كرجل لطيف ومثقف قمت بتعريف نفسي له

فأبتسم لي وقال: انت ياسر؟

قلت له: نعم!

قال لي: والدك رجل كريم اخبرني انه سينديك لتساعدني، انا اشكركم كثيراً،

فقمت بأنزال الحقائب مع العمال وبعد ان انتهينا طلب مني ابي ان اعود واقدم صينية الغذاء الي جيراننا الجدد فذهبت وطرقت الباب ففتح لي الرجل البيت وشكرني واصر على ان ابقى واتناول معه الطعام فجلست في غرفة الاستقبال وتناولنا غذاءنا فأخبرت الرجل هل سيسكن هنا لوحدة؟! فأبتسم لي وقال انه مع عائلته.

في اليوم الثاني جاء الرجل بسيارته مع زوجته وابنته وطفله الى بيتهم فقرر أبي ان نقيم لهم وليمة عشاء لنتعرف عليهم

فعندما وصلوا تعرفنا على الام التي كانت لطيفة جداً وطفلهم ذو ثمانية اعوام اسمه عمر اما أبنتهم إسراء عندما رأيتها شعرت برعشه غريبة! وانجذاب نحوها فلقد كانت جميلة جداً وهادئة!

بدت اصغر مني وعندما عرفتنا امها عليها لم تقول لنا في اي صف تدرس؟

وكم عمرها؟

فبقي بداخلي فضول لمعرفتها أكثر،

بل تمنيت ان تتكلم هي او يتكلموا عنها طوال فترة العشاء لكن للأسف كان والدي يتحدث بأمور سياسية مع والدها وامي كانت تتكلم مع امها

واختي شهد وسهاد كانوا يجلسون قرب أسراء ويتكلمون معها ولا يتركون لها المجال لتتكلم كنت لا استطيع ان امنع نفسي في ابعاد نظري عنها الا ان طلب مني والدي ان اذهب لجلب الشاي وعندما خرجت تبعني ومسكني من يدي وقال لي:

يـــاسر! شيل عيونك عن البنيه! حتى ابوها انتبه عليك!

فشعرت بالأحراج وطلبت من والدي ان يقوم هو بتقديم الشاي لهم وذهبت لغرفتي وانا افكر فيها!

وعندما ذهبوا اسرعت لأسأل اخواتي عما تكلموا معها فقد كانوا طوال الوقت يثرثرون معها ولم يفسحوا لها المجال للكلام، فعلمت انها اكبر مني بسنتين عمرها سبعة عشر عاماً ونجحت لصف الخامس علمي، لكنها اجلت هذهِ السنة ولا تدرس حالياً وكيف انها تحب الدراسة وتتمنى لو استطاعت اكمال هذهِ السنة حيث انها طموحة ولأول مرة شعرت برغبة في الدراسة وان اسعى لأدخل الاختصاص العلمي نفسها، شعرت ان انجذابي نحواها سببه الهالة التي تحيط بها والتي افتقدها انها هالة الاجتهاد والطموح، كنت عندما اعود الى المدرسة استرق النظرات الى بيتهم عسى ان اراها ومر اسبوع على تواجدهم قربنا لاحظت انهم عائلة مثقفة ومهتمة بالنظافة وهادئين كانت امها أستاذة جامعية في كلية الصيدلة وابيها ضابط متقاعد ولم يقولوا لنا عن سبب انتقالهم الى هذهِ القرية وفي اي منطقة كانوا يسكنون فلقد كانوا غامضين! أعتقد أنهم يخفون شيء ما!

وبعد شهر مضى، استيقظت على صوت انفجار قوي كأنه في بيتنا!

فركضت مسرعاً، قالت لي اختي شهد ان بيت ابو عمر فجروه!

هل هو بيت جارنا الجديد؟

تفجر؟

ماذا عن اسراء؟

صرخ والدي باسمي لأتصل بالشرطة..

فذهبت مسرعا ثم عدت وجدت جثة مغطاة في بطانية فشعرت بألم في قلبي وتسألت هل هو جارنا أبو عمر؟! ماذا عن بقية افراد عائلته؟؟ماذا عن اسراء!؟

ذهبت قرب والدي واخبرته ماذا عن بقية العائلة؟

فقال لي: الحمد لله لم يصبهم أذى عدا الام كان مغمى عليها وتم نقلها الى المستشفى، بعدها جاءت الشرطة ووقف والدي يتكلم معهم،

فعلمت ان والد اسراء قد تم قتلة بالرصاص والقاء جثته قرب الباب ثم قاموا بألقاء قنبلة صوتية في البيت سببت في تهديم اجزاء من غرفة الضيوف والمطبخ!

وعندما عدنا لبيتنا اخبرتني اختي سهاد ان نوافذ معظم الغرف قد تكسرت لشدة الانفجار ويجب إصلاحها فذهبت لتفقدها،

سمعت شجار بين امي وابي حيث والدي كان يخبرها ان تذهب للمستشفى لتطمئن على والدة اسراء لكن والدتي كانت ترفض تحت حجة ان العصابات التي فجرت بيتهم لاتزال متواجدة في المنطقة فلم يمضي على الانفجار الكثير من الوقت وسيستهدفون كل من يساعدهم مثلما حصل في السابق حيث عندما كانت تحصل مثل هذه الحالات يتم اغتيال

كل من يساعد عوائل الضحايا التي تستهدفهم هذهِ العصابات المجرمة فأخبرها والدي اننا لانعرف الكثير عن ابو اسراء وقد يكون استهدافهم له ليس لأسباب طائفية وانما الاسباب اخرى وحالياً من الواجب الوقوف من زوجته وبنتها وولدهم الصغير، كانت امي ترفض خوفاً على عائلتنا لكني لم أستطع ان اتمالك اعصابي وتدخلت واخبرت والدي انا سأذهب الى المستشفى لأطمئن عليهم

بدأت امي تتوسل بي بعدم الذهاب كون ذلك قد يكون خطر فالعصابات المجرمة لاتزال تراقبهم وقد تستهدفهم كذلك وهم بالمستشفى ومن الخطر التواجد قربهم!

لكني كنت مصراً على الذهاب وتبعني والدي فركبنا السيارة وخرجنا من البيت فوجدنا الشرطة لاتزال في بيتهم فسألهم والدي عن جثة ابو عمر فقالوا له قد تم نقلها الى الطب الجنائي وهم سيحققون بأسباب مقتلة وسيتحدثون مع عائلته.

عندما وصلنا الى المستشفى وسألنا عن ام اسراء اخبرنا الطبيب انها أصيبت بجلطة قلبية وتحتاج لعمل عملية لها وانها الان لاتزال فاقدة الوعي،

ذهبنا بعدها لمقابلة اسراء حيث كانت تجلس وهي تحتضن اخيها بدا انه نائم

حاولت السير تجاهها لأكلمها لكني ترددت وقلت لوالدي:

- انها فقدت والدها وامها بمرحلة خطرة من الافضل ان تأتي أمي وسهاد وشهد ليواسوها ويساعدوها.

فعدنا واخبرنا سهاد وشهد بضرورة الذهاب للمستشفى لكن والدتي بقيت رافضة وكررت:

- اننا لا نعلم شيء عنهم ولم نعرفهم فقط لشهر واحد ولا نعرف شيء عن والدهم وتاريخه وسبب مقتلة فلماذا نتورط معهم ونحن لا نعرفهم جيداً؟

لاسيما الوضع الان حرج والدم اصبح رخيص وكل شخص يحمل سلاح، اتركوهم من المؤكد انهم يملكون اقارب وسيتصلون بهم وسيقفون معهم.

لكني لم استطع السكوت وقلت غاضباً ما الضرر من الوقوف مع بنت يتيمة وامرأة ارملة؟ ومواساتها ففي هذهِ اللحظة هي واخيها يجلسون لوحدهم ولا يوجد احداً معهم! وان كنتم لا ترغبون بالذهاب انا سأعود مرة اخرى وابقى قربهم ولست خائف من اي شيء!

فعندما تحركت نحو الباب صرخت امي: يـاسر لا تذهب فهم يستهدفون الشباب خطر عليك!

وتوجهت نحوي ووقفت امام الباب وعندما لاحظتني انا مصر جداً لأخرج قالت:

- انا سأذهب لهم وانت ابقى بالبيت

فرافقها والدي واختي الكبرى شهد وعندما عادوا لم تعد امي معهم وكما توقعت قلبها الطيب لم يستطع فراق اسراء ووالدتها التي في مرحلة حرجة وقررت البقاء معهم الى ان تنهض امهم بالسلامة فسوف تجري غداً العملية في قلبها،

ذهبت لغرفة اختي شهد وطلبت منها ان تحدثني عما حصل لكنها رفضت بحجة انها تعبه وتريد النوم لكن الحاحي جبرها ان تخبرني فقالت:

ـ عندما وصلنا الى المستشفى وشاهدنا اسراء بدأت تبكي كثيراً وكانت مصدومة مما حصل ولا تصدق انها لا تستطيع ان ترى والدها مرة اخرى وانها خائفة على والدتها وعلى اخيها ولا تعرف ماذا تفعل، فوعدتها امي ان تبقى لجوراها وحاولت انا أن اواسيها لكنها كانت حزينة جداً وخائفة.

ياسر: لم تستطيعوا الاستفسار منها عن الجهة التي قتلت والدها ولماذا؟

شهد: لم نستطع فقد كانت مصدومة جداً وتبكي

ياسر: وهل تناولت شيء؟

شهد: الا ترى امرك غريب؟

ياسر: كيف؟

شهد: تستفسر فقط عنها!

ياسر: كنت اقصد هل تناولت هي واخيها شيء؟

شهد: لم تتناول شيء! قالت لنا انها فاقدة الشهية لكن اخيها نعم

وبعد لحظات صمت قالت لي شهد ان لا افكر ولا احزن فهم سيكونون بخير مع امي.

في الصباح اتصلت بوالدتي واخبرتها ان كانت محتاجة شيء احضره لها فطلبت مني بعض الحاجيات علمت انهم ليسوا لها وانما لأسراء وصلت للمستشفى، لم ألاحظ الحالة الكئيبة التي نقلتها لي شهد عن اسراء فقد كانت تبدوا بخير وحتى عندما سلمت عليها ردت بابتسامة:

وعليكم السلام اهلاً ياسر

فعلمت انها هكذا لان العملية التي اجريت لوالدتها تمت بنجاح بعدها طلبت مني امي ان اخذ عمر الى البيت ليستحم عندنا وان اعتني به فنظرت لإسراء التي كانت تخاطب اخيها بأن يكون مهذب ويعاملني كأخ كبير له ويطيعني فشعرت بالسعادة لأنها نطقت اسمي، ولأنها تشعر بالأمان لبقاء اخيها معي،

فهمست لأمي لماذا لا تأتي اسراء معنا؟

فقالت لي: انها تريد ان تبقى الى ان تستيقظ والدتها

عدت للبيت مع عمر وقدمت له الغذاء وبعدها جعلته يلعب بعض الالعاب الالكترونية الموجودة في الكمبيوتر.

حاولت التحدث اليه لكنه للأسف لا يجيبني عن اسئلتي كأن فمه يغلق بقفل عندما اسئلة امور عن ابيه واخته والمنطقة التي كانوا يعيشون بها وسبب استهدافهم!

فشعرت بالإحباط، خرجت من الغرفة واجهتني اختي قائلة: اليوم الثاني لم تدرس شيء والامتحانات على ابواب!

فتجاهلتها ومشيت نحو الثلاجة فقالت لي: ما الذي يعجبك بها؟

لم استطع ان اتجاهل اختي وهي تفتح موضوع اسراء معي فقلت لها: لا اعلم

فقالت لي: لا تخلط مشاعر الشفقة مع مشاعر اخرى فما تشعر به تجاهها هو الشفقة ايها المراهق!

فانصرفت وانا افكر هل مشاعري هي مشاعر فضول وشفقة؟هل اندفاعي لمساعدتها هو من دافع شفقتي عليها ام شيء اخر؟

ومع هذهِ المشاعر المتضاربة جاءت اختي سهاد وقالت لي انها رأت مسلحين ملثمين يدخلون بيت ابو عمر فذهبت لأرى فوجدت والدي قرب الباب فسألته عما يجري؟

فقال لا احد يستطيع معرفة ما يحصل فالبارحة الشرطة هنا واليوم المسلحين اخشى انهم سيأتون الينا!

وبعد دقائق خرج المسلحين من البيت وركبوا سياراتهم وانصرفوا!

شعرت بخوف على اسراء وامها كأنهم جزء مني فماذا سأفعل لو توجهت هذه العصابات الى المستشفى؟

أسرعت للمستشفى، استغربت امي لتواجدي المفاجئ فأخبرتها عما حصل لكنها طمأنتني ان ام أسراء قد استيقظت واجرت اتصالات بأخيها الذي يسكن في العاصمة واتفقت معه على السفر والعيش هناك ووعدها بأنه سينظم الاجراءات اللازمة لانتقالهم خلال هذا الأسبوع،

لم اشعر بالسعادة لخبر انهم سيرحلون وكنت اشعر ان هناك تقصير من ناحيتي فيجب ان احميهم واجعلهم يشعرون بالأمان للبقاء هنا معنا لكن ماذا يمكن ان يفعل شاب مثلي؟ اعزل من السلاح ولايزال في المدرسة؟ شعرت ذلك المساء بصداع في رأسي وقررت ابقى في البيت ولا اذهب الى المستشفى مجدداً وطلبت من والدي أن يتولى مهمة ارجاع عمر الى المستشفى بجانب والدته واخته؟

استلقيت في السرير ولا ازال افكر في اسراء،

هل عندما ستذهب للعيش في بغداد يمكنني ان اقابلها مجدداً مستقبلاً؟

هل يمكن ان ترجع هنا ما ان تستقر الأوضاع؟

بعدها بدأت ألاحظ ما اشعره تجاهها هو شيء اكبر من الشعور بالشفقة انه كالرعشة تصيب قلبي!

جلست لتناول الفطور وانا انزل الدرج استغربت من سماع صوت اسراء داخل البيت تتكلم مع شهد وسهاد حاولت ان ابقي نفسي مخفياً ولا اصدر اي صوت يشير الى تواجدي في المطبخ كنت اشعر بداخلي بمشاعر متناقضة ما بين الرغبة في الدخول الى غرفة الضيوف والقاء التحية عليها أو البقاء بعيداً عنها ونسيانها لأنها ستسافر ولن أراها مجدداً،

دخلت اختي شهد الى المطبخ فقالت لي: اسراء هنا

لاحظتني لم اعر الموضوع اي اهتمام لكن بداخلي اسئلة كثيرة حولها ورغبة شديدة في معرفة سبب وجودها في بيتنا فأخبرتني انها جاءت الى بيتهم لتأخذ الاشياء الضرورية وبمساعدة والدي تم بيع الاغراض واثاث بيتهم.

عندما خرجت امها من المستشفى تمت اجراءات دفن والدها بعد ان اثبت التحقيق تم قتله بست رصاصات بمختلف اجزاء جسده لأسباب غامضة! ولكن حسب كلام أسراء انه تم تهديدهم وابتزازهم من قبل عصابات اجرامية لكن والدها انتقل الى قريتنا ليتخفى عن هذهِ العصابات لكنهم تمكنوا من معرفة مكانه وقتلوه وفجروا بيته حيث مظاهر التهديد والقتل والابتزاز اصبحت مستفحلة الى حد لا يطاق!

في اليوم التالي جاءت والدتها الى البيت وكان الوداع الاخير،

قررت ان اخرج من البيت ولا ابقى فبكاء والدتها وامي واخواتي جعلني ارغب في البكاء كذلك كنت اتمنى ان يبقوا اكثر لكن تجري الرياح مثلما لا تشتهي السفن!

ذهبت الى بيت صديقي بحجة اريد الدراسة معه كان هو يشرح لي لكن عقلي في مكان أخر

لا استطيع اوصف ما انا عليه الان!

اشعر بالاختناق! بالحزن!

ولا ازال اكذب قلبي واقول لنفسي انها مجرد مشاعر شفقة لأنها في وضع مأساوي!

يا ترى هل ستدور الايام ويمكنني مقابلة هذهِ الفتاة الهادئة اللطيفة الجميلة الرقيقة مرة أخرى؟

- 2 -

لن انسى العائلة التي استضافتني وابي وامي واخي ووقفوا الى جانبنا في محنتنا على الرغم من خطورة الموقف وعاملونا بطيب وكرم ولم يتخلوا عنا كما فعلوا أقاربي الذين عندما اخبرهم والدي بالتهديدات التي نتعرض لها نفروا منا ولم يساندونا بحجة انهم كذلك مهددين ايضاً!

كان من الممكن ان نهاجر خارج العراق لكن حب والدي للعراق وايمانه الكبير ان كل شيء سيتحسن جعله يغير مكان بيتنا فقط!

قال خالي لأمي عندما كانت تشكوا له عما حصل ان ننسى كل شيء ونبدأ صفحة جديدة ووعدني انه سيحمني انا وامي واخي كما لاحظنا ترحيب كبير من زوجته.

لقد التقينا بخالي في النجف وقضينا الليلة هناك وانطلقنا صباحاً بسيارته من نوع نيسان نحو بغداد، في الطريق وبعد عبرونا من العاصمة استغربت من كثرة تواجد الارتال العسكرية لجيش الاحتلال الامريكي وعندما تسير هذه الأرتال يجب على جميع السيارات المدنية أن تتوقف فيحصل ازدحام والاختناقات المرورية

لكني اندهشت عندما كانت امي وخالي يتحدثون اننا سنذهب الى نينوى ولن نبقى في بغداد وعندما استفسرت منهم لماذا؟ لم يعطوني

أي اجابات لكني بعدها علمت ان خالي انتقل مؤخراً الى الموصل وترك العاصمة!

كنت أتأمل الغيوم البيضاء التي تتخذ اشكال مختلفة وسط السماء الزرقاء الى أن نمت واستيقظت على صوت امي وهي فزعة ومرهوبه

وتقول لي: هيا بسرعة!! أســـراء!

خرجت أمي مسرعة مع خالي واخي فتبعتهم ببطيء لا افهم ما الذي يجري؟!

صاح خالي: انخفضوا بسرعة الى الارض!

لاحظت هناك سيارات كثيرة امام سيارتنا وخلفها وهناك العشرات من الناس غيرنا خرجوا من السيارة وانبطحوا ارضاً لكني لم استوعب ماذا يحصل ولماذا علامات الذعر والخوف خيمت على الناس؟

بعد عشرون دقيقة تقريباً عدنا الى السيارة والتفتت لي والدتي وقالت لي: نومك الثقيل! ألم تسمعي الانفجار القوي الذي حصل امامنا؟!

فاستغربت! أي انفجار يتحدثوا عنه؟ لم أسمع شيء!

ماذا حصل؟!

قالوا لي هناك عبوة ناسفة استهدفت دورية لجيش الامريكي امامنا سببت بتفجير همر ومقتل من فيها فقامت بقية المركبات الامريكية بأطلاق النار بصورة عشوائية تجاه السيارات ولهذا خرجنا وانبطحنا بالأرض الى ان جاءت سيارة الاسعاف والامدادات الامريكية ونقلوا جثثهم وجرحاهم ومخلفاتهم ورحلوا، كنت جداً مستغربة من هذا!

فأنا لم اسمع اي صوت! حتى صوت الطلقات النارية لم أسمعها!

هل اعاني خلل في حاسة السمع؟

مستحيل، اذن كيف استطيع سماع صوت خالي وامي من يتحدثون واستطيع سماع صوت السيارات الاخرى التي تتحرك جانبنا!؟

عندما وصلنا الى كركوك تم تفتيش سيارتنا من قبل قوات البيشمركة الكردية لدواعي امنية حيث كانت المحافظة تتعرض لسيارات مفخخة بين فترة واخرى!

بعد وصولنا لبوابة دخول الموصل كانت مظاهر المركبات الامريكية واعلامهم ومعسكراتهم كثيرة حتى لاحظنا جندي امريكي يقف كشرطي مرور ووجهنا للعبور في طريق الايمن!

بعدها قال لنا خالي: هذهِ المواجهات المسلحة واطلاقات النار تعودوا عليها لأنها جزء من حياتنا في الموصل!

انا كنت فقط اتساءل: لماذا لا اسمع اصوات اطلاقات النار التي يتحدثون عنها!؟

الموصل لا تفرق كثيراً عن بغداد من حيث كثرة التواجد الامريكي فالدبابات تسير بين البيوت في بعض الاحياء!

كان خالي يتعمد السير في الطرق الفرعية بحجة حصول اشتباكات في الطرق الرئيسية وامي تؤيده وانا لا افهم ما يجري؟

فلم اسمع صوت اي طلقة وعندما اخبرهم لم اسمع شيء كانوا يعتقدون اني امزح فتوبخني امي فأكتفتي بالصمت.

لم ازر الموصل منذ سنوات، أخر مرة عندما كنت طفلة مع امي وأبي حيث كانت الموصل من المدن الجميلة التي يقصدها بقية العراقيين للترفيه عن النفس وتميزت بكثرة مناظرها الجميلة والتاريخية والاثرية وللأسف لم تكن كما كانت ! شعرت بالحزن للتدمير الهائل الحاصل فيها بعد حرب 2003 ولأخرج من دائرة الحزن والصدمة قررت ان اركز على فكرة اني الان وامي ووامي واخي سنعيش بأمان بجانب خالي، حيث بدت لي محافظة امنه لأني لم اسمع صوت الانفجارات والاطلاقات النارية بالرغم من ان خالي ذكر انه لا يمكن ان يمر يوم دون ان تحصل مواجهات وانفجارات!

انتقلت امي لكلية الصيدلة جامعة الموصل واستمرت بالتدريس وعمر التحق بالمدرسة الابتدائية،

اما انا هذه السنة كنت قد أجلتها فبقيت في البيت اساعد زوجة خالي واتعلم الامور المنزلية والطبخ وامارس هواياتي في الرسم والقراءة.

في احد الايام زار الحزن بيتنا مرة اخرى بخبر استشهاد خالي حيث انفجرت سيارة مفخخة بالسوق وسببت بجرح ومقتل العشرات ومن ضمنهم خالي!

كان خالي يتسوق وتم تفجير السيارة المفخخة بحجة تواجد همر امريكية!

ما فائدة قتل اربع جنود امريكيين في مقابل عشرات الابرياء؟

كم من امرأة ترملت؟

واطفال اصبحوا يتامى؟

واشخاص اصبحوا معاقين؟

لم استطع استيعاب مفهوم الجهاد هذا؟ حيث يتم استهداف الامريكان بحجة انهم محتلين وهناك فتاوى بوجوب قتل المحتل!

لكن ماذا عن المواطنين الابرياء؟

اليس زوال الكعبة اهون عند الله من اراقة دم شخص مسلم؟

ما هذا الفكر المتطرف؟

كان بالنسبة لي فقدان خالي صدمة قوية لا تفرق عن صدمتي لفقدان أبي فبكيت كثيراً

وانا اتساءل عن سبب مقتلة؟ ما ذنبه؟ فقط لأنه تواجد في مكان وزمان خطأ؟

وقتها شعرت اننا العراقيون ضائعون ما بين محتل يسرق خيرات ارضنا وبين حمقى سفاحين وعصابات بمختلف المذاهب والاعلام!

ما فرقهم عن الذين قتلوا والدي؟

بعد أشهر على موجة الحزن لفقدان خالي قررت زوجته بالهجرة الى بلجيكا مع اطفالها حيث هناك اغلب افراد عائلتها وانها تريد ان تبيع البيت، فقررنا ان نجد لنا بيت يأوينا وحصلنا بيت أيجار بسعر مناسب لنا يحتوي على غرفتين وصاله استقبال ومطبخ وحديقة واسعة ولكن المشكلة تكمن انه في منطقة يقال انها تتعرض للمواجهات مسلحة كثيرة ومع هذا جازفنا بشراء البيت!

على الرغم من ان تغيير البيت كان مجهد الا اني شعرت بالراحة في

بيتنا الجديد فبصمات خالي في بيته بكل مكان كلما رأيتها كانت تشعرني بالاكتئاب والحزن الشديد حتى عدت ارى ان الدنيا مظلمة أما في بيتنا الجديد اعتدت على العناية بالحديقة واقترحت على امي شراء عصافير وحوض تربية اسماك وضعت فيه سمكتان ذهبيتان احببت ان اتأملهن وهن يحركن فمهن ويخرجون فقاعات بطريقة سحرية ! كنت اعيش بعالم صغير صنعته لنفسي يعومه السلام والطمأنينة على الرغم من الانفجارات المستمرة واطلاق الرصاص التي لم اكن اسمعها لكن ارى علامات الذعر والخوف على امي واخي وطلبهم مني الابتعاد عن النوافذ بين فترة وأخرى!

كما لاحظت تكسر بعضها فأصبحت موقنة ان هناك فعلاً انفجارات واصوات لإطلاقات نار لكني لا اسمعها وعندما اخبر امي لا تصدقني وتقول لي كيف انك تسمعين كل شيء عدا اصوات القذائف والرصاص والعبوات!؟

ربما ما يوجد فيني ليس خلل او اعاقة وانما هبه من الله!

- 3 -

عل الرغم من مضي فترة طويلة من مغادرة اسراء ألا انها لاتزال تزورني في احلامي وافكاري وكثير ما كنت اسمع عن الاوضاع الامنية الصعبة في بغداد فالطائفية والمفخخات وحرب الشوارع كانت تزيد حماها هناك، كنا نملك رقم هاتف والدتها الشخصي وتتصل بنا وتحينا في الاعياد والمناسبات، لكن عندما نسألها في أي منطقة ببغداد استقروا لا تخبرنا! كانت جداً متحفظة بمعلوماتهم واين هم الان كأنها لا تثق بنا!

مرت السنوات وكنت مجتهد بالدراسة ومن الاوائل لا اعلم كيف عندما اتذكر إسراء اشعر برغبة بالاجتهاد واكون انسان مميز!

وكنت اهدف ان التحق بجامعه بغداد عسى ولعل الصدف تقودني الى إسراء تلك الفتاة التي لم استطع نسيانها كانت كالشبح تلاحقني بنظراتها العميقة الحزينة واشعر بداخلي بالتقصير تجاهها ولا اعلم لماذا اشعر باللوم وكأني مسؤول ويجب أن احميها!

بعد اختبارات السادس اعدادي اخرجت معدل مميز وقررت ان أقدم على جامعة بغداد ولكن امي وابي كانا يرفضان بشدة!

قدمت على جامعة البصرة وقبلت في كلية الهندسة واخترت قسم النفط ومضيت بحياتي الجامعية واندمجت في الدراسة وروتين حياتي تغير فلم يعد لي هناك وقت كافي اجلس وافكر في أسراء كما كنت سابقاً، لكن

بين حين واخر اجلس بكوابيس عنها كأنها في مشرحة قرب جثة ابيها وانا اتكلم معها ولا تسمعني!

في احد كوابيسي شاهدتها تقف قرب الجامع وكان حوله ملثمون يحملون رايات سوداء كنت احاول ان اجعلها ان تنظر لي وتبتعد عنهم لكنها كانت واقفه هناك بعدها تم تفجير الجامع وتناثرت الاشلاء واستيقظت مذعوراً وقلبي يخفق بشدة وكأن دمائي جفت في عروقي.

ما هذه الرؤية؟ لماذا هكذا حلمت بها؟

ماذا يحصل لها الان وماذا تفعل؟ هل هي بخير؟

بعد تخرجي توظفت في أحد الحقول النفطية كنت ابقى بالمصفى مدة اسبوع واعود اسبوع اخر للبيت كنت لا احب الجلوس بالبيت فأخرج اعمل بسيارة والدي كسائق أجرة، اجلس اعمل صباحاً الى الليل شعرت بالضجر من نفسيات بعض الناس الذين يركبون السيارة احتاج فعلاً الى قلب حديدي لا استطيع ان اتعامل معهم وكثير ما كانت تحصل لي مشاكل معهم ولسوء الحظ تورطت بشجار مع رجل له صله بأحد الاحزاب التي انتشرت في المنطقة بعد حرب 2003 حيث كان الراديو على الاخبار وتم الحديث عن هذا الحزب بالسوء وقام هو بالدفاع عنه بوصفة «ان قادة واتباع هذا الحزب هم اطهر الرجال!»

فقلت له عن فسادهم ومجموعة من الجرائم الموثقة التي ارتكبوها بحق الابرياء فتحول حديثنا الى جدال ثم بدأ بشتمي ولعني!

وهددني فلم اعر له اي اهتمام لكن في احد الايام ذهبت الى احد المقاهي التي أعتدت الذهاب اليها ودخل علينا ثلاث رجال ملثمين

ويحملون السلاح وقاموا بضربي ضربا مبرحا حتى فقد احد اسناني وتكسر احد اضلاعي وتم نقلي الى المستشفى وقتها تيقنت انه نفذ تهديده وشعرت اني مقيد ولست حر لا يمكنني ان اقول الحقيقة ولا حتى اثبات وجهة نظري!

كرهت الحال الذي يحصل في البلد وفكرت بالهجرة لاسيما لم اكن احب عملي في النفط، اعرف اشخاص هاجروا الى سوريا والاردن وقتها اصبحت الهجرة الى هناك شائعة، احد اصدقائي المسيحيين هاجر الى السويد وكان دائماً يتواصل معي وعندما كنت اشكوا له عن الاوضاع بالعراق وما حصل معي كان يشجعني ان اهاجر ووعدني سيساعدني بموضوع الهجرة لكن لم اكن املك المبلغ الكافي وابي يرفض فكرة هجرتي ويرفض مساعدتي مالياً!

ولاتزال امي تلح علي ان اتزوج بنت عمي فأخبرتها اني لا افكر بالزواج حالياً، فتعود مرة اخرى وتقول لي فلانه جميلة ومن قبيلة عريقة..

اخبرت امي اني لا اهتم بجمال البنت وقبيلتها وانما اركز على قلبي هل يتألف معها؟

هل اشعر معها بالألفة كأنها خلقت من أجلي؟!

روحي تتنافر مع الفتيات الذين تقترحهم والدتي لي!

ولم اشعر بالألفة بحياتي سوى لأنثى واحده كأن القدر ربطني معها من اول نظرة بالرغم من بعدها عني واختلافها عني من ناحية المذهب والمعتقدات.

- 4 -

المكان الذي انتقلنا للعيش به كأنه مهجور فالجيران لم يختلطوا معنا ولم يكلمونا ألا قليلاً وحتى في الشوارع والاسواق كأن كل شخص لا عليه بالأخر!

قد يكون السبب الرئيسي في عدم وجود التواصل بين ناس هو سوء الوضع الامني فنجد الجثث بالأرض بين فترة واخرى!

كما ظهرت الاعتقالات العشوائية من قبل قوات الاحتلال وتفشي حالات المخبر السري الكاذب فأصبح الناس يحذرون من الغرباء ولا يخالطوهم!

فشعرنا بوحده لم نكن نشعرها سابقاً عندما كنا نعيش في بيت خالي.

كذلك في المدرسة لاحظت الطالبات لا يتكلمون معي عندما يعلمون انا لست من المنطقة فشعرت بالضيق والحزن ولم احب المدرسة ولكوني في الخامس علمي لم يبقى لي سوى مرحلة واحدة واذهب للجامعة واتخلص من هذهِ النفسيات والأوجه التي لم اتلقى منها اي ترحيب او كلمة طيبة ويعاملونني كمنبوذة!

من ايجابيات كوني لا املك صديقات اني بدأت اركز على دراستي كثيراً وتفوقت في المواد الدراسية بحيث مسائل الرياضيات والفيزياء اصبح وسيلة تبعد عني الضجر والملل!

بين فترة واخرى اثناء الدرس تخبرنا الأستاذة ان ننخفض ارضاً وهي تفعل كذلك بحجة وجود مواجهات واطلاقات نار!

ويحصل هناك رعب وخوف بين الطالبات لكني لا اسمع شيء ولا افهم هل هناك شيء يستدعي الخوف فعلاً انا لا اسمع اصوات اطلاق النار كما يدعون!

ارى دبابات وهمرات وفي السماء طائرات هيلوكوبتر لكني لا اسمع اي صوت لأطلاق نار!

كذلك تأتي لنا ايام يمنعوننا من التجوال ونبقى في البيت بحجة وجود مواجهات ما بين فصائل تسمي نفسها المقاومة والبعض يسميها ارهاب وجنود الاحتلال!

ارى في التلفاز مسميات مختلفة وتحمل اعلام مختلفة منها والانتحارين والسيارات المفخخة بل احياناً في مدرستي نجد اقراص بيها تسجيلات لعمليات خطف وذبح لجنود عراقيين وامريكيين واحياناً اقراص بها تنفيذ عمليات انتحارية في بعض المحافظات بهذهِ التسجيلات فعلاً اسمع اصوات الانفجارات واشعر كأننا فعلا في حرب لكن عندما اعود لواقعي انا لا اسمعها!

كنت اقضي ساعات في اعمال البيت وتدريس عمر ثم اعود لدروسي وعالمي الذي اضفت له مكتبه صغيرة ببعض الكتب والروايات التي اشتريتها كما اهتممت بأشجار الحديقة وسمكتي الذهبية وطيوري حاولت ان اعيش وانقل نفسي بقوقعة بعيداً عن الحرب التي تجري في الخارج، تأتي لي ساعات اكون خائفة من فقدان امي واخي كما فقدت ابي وخالي لاسيما مظاهر الموت اصبحت رائجة!

ان لم تقتلك رصاصة جندي امريكي قتلتك مفخخة او عبوة او شظايا القصف فالوضع لم يكن مستقر ابداً!

مضت السنة سريعاً ووصلت الى الصف السادس وكان لابد ان اجتهد واخرج بمعدل مميز صراحة لم اكن افكر بماذا اريد ان اكون ولا اي كلية التحق ولكن كنت اركز اني اريد ان ازرع الفرحة في قلب امي التي عانت من صدمات كثيرة واجدها تبكي كثيراً وتحاول اخفاء دموعها عني وعن اخي فماذا يمكن ان افعل لأسعدها سوى ان اخرج بمعدل مميز يفرحها فوضعت لنفسي هدف ان اخرج نسبة فوق ال95.

وجدت تغير في معاملة زميلاتي لي بهذهِ المرحلة بعدها علمت ان السبب هو انهم يريدوني ان اساعدهم بالدراسة كنت اعلم ان مدحهم لي وهداياهم وتصرفاتهم تجاهي هي من اجل مصلحتهم فلم اكن اعتبرهن صديقات حقيقيات الى ان انتقلت لمدرستنا حنين كانت بغدادية الأصل وسكنت حديثاً في الموصل احببتها بشدة حيث وجدت تشابه كبير فيما بيني وبينها حيث كانت تصنع لنفسها البهجة بالرغم من عاصفة الحزن التي اجتاحتها ولاحظت كذلك تعامل بقية الطالبات معها مثلما عاملوني في السنة السابقة كمنبوذة فتمسكت بها واصبحنا اكثر من صديقات وتطورت العلاقة بيننا فتعرفت امها على امي وكانت تأتي لبيتي وندرس معاً.

في احد الايام عندما كنا بالمدرسة انتشرت شائعة ان القوات الامريكية تطوق اجزاء من الحي الذي اسكن به واعلنت منع التجوال به!

فدعتني حنين بالذهاب الي بيتها الذي لا يبعد كثيراً عن المدرسة فاتصلت بأمي التي كانت خائفة علي فقلت لها:

- اني سأذهب الى بيت صديقتي حنين الى ان ينسحب الامريكان

عندما ذهبت الى بيت حنين عرضت علي ان اغير ثياب المدرسة وقدمت لي الغداء وتعرفت على اخواتها.

وعندما اذن العصر بقيت اشعر بالقلق على امي وعمر ولم استطع استيعاب اني سأنام الليلة بعيدة عنهم بل اكتشفت اني لا اقدر ولم اشعر بالأمان لأني بعيدة عنهم!

فقررت العودة مهما حصل فأنا لم اكن اسمع اي صوت لأطلاق النار، فارتديت من غير وعي ملابسي المدرسية واخذت حقيبتي فمنعتني حنين وأمها فأخبرتهم اني اتصلت على البيت واخبروني لاوجود للأمريكان في المنطقة وانتهى منع التجوال، حذروني كثيراً وتمسكوا بي لكني كنت مصرّة خرجت مسرعة وكانت الشمس على وشك الغروب واعترف وانا اسير بالشارع لم اكن اعلم اي وجهة سأسلك؟!

فلقد كنت معتادة ان اعود بالباص ولم احفظ الاماكن والطرق التي تؤدي الى البيت ولم تكن هناك اي سيارات تسير او اشخاص فعلمت ان منع التجوال لايزال قائم وقد تكون هناك مواجهات واطلاقات نار ولكني لا اسمعها!

وبعد ان سرت لحوالي نصف ساعة لا اعرف لماذا جثة والدي وطريقة قتلة بدأت تعود لذاكرتي وكنت تعبة جداً وخائفة شعرت بالإحباط وتوقفت وبدأت بالبكاء ولم اتصل بأمي لكي لا تقلق علي!

بعدها استمعت لصوت اذان المغرب فجاءت لي فكرة ان اذهب الى المسجد الذي يؤذن عسى ان ارى مصلين به اسألهم عن الطريق فالشارع لا يحتوي اي بنو ادم ليرشدوني وانا اسير بين البيوت لاحظت شيء غريب!

اربعة رجال ملثمين يحمل اثنان منهم اسلحة!

احدهم كان يضرب بسلاحه على رجل مستلقي بالأرض سرت ببطيء تجاههم لأرى ما يجري وجدت وجه الرجل قد تهشم من الضرب والدماء تخرج من انفه وعينية وكانوا يتناوبون على ضربة!

بقيت واقفة بمكاني وقلبي يدق بشدة وتذكرت حادثة حصت امامي عندما كنت طفلة عندما كنت عائدة من المدرسة لاحظت اولاد يضربون قط بعصا والدماء خرجت من انفه وعينية وعندما تقربت منهم وجدت القط يمد ارجلة ويدية كأنه يحتضر وبقيت في نفسي ان اساعده لكني كنت خائفة من الاولاد ولم اتورط فقد كنت مجرد طفلة وهم كانوا يضربونه بعصبية لا اريد تشبيه الرجل هذا بالقط ولكن الموقف نفسة اي شجاعة ورجولة ضرب شخص اعزل بهذه الصورة؟

مهما يكن الذنب الذي اقترفه لا يجوز معاملة اي مخلوق بهذهِ الطريقة الوحشية التي لا تقبلها الانسانية ولا الاسلام فتوجهت نحوهم مسرعة ومن دون وعي ودفعت احدهم وانا اصرخ: كفى!

فمسكني احدهم بقوة من ذراعي ورماني بالأرض ووجه الاخر سلاحه تجاهي يريد ان يقتلني حتى كدت لا اشك ان هذهِ اللحظة قد تكون الاخيرة في حياتي، فسمعت صوت من بعيد يصرخ:

ـ لا تطلق عليها النار ارجوك!

فأبعد سلاحه من نحوي ووجهة نحو شاب بدا في اواخر العشرينات كان ابيض البشرة ويملك لحية قصيرة مشذبه بعناية ويرتدي ملابس سوداء.

كان رافعاً يديه ويصيح: اعذروا ابنه عمي فأنها مريضة عقلياً!

بعدها اشار بيده نحو الرجل الذي كانوا يضربوه وقال: لا علاقة لنا به!

فصرخ عليه احدهم: خذها بسرعة وابتعدوا

حيث كانوا مرتبكين جداً لان اصوات الهيلوكبتر بدأت تقترب

فأسرع الشاب وجعلني انهض ومسكني من معصمي بقوة وسار بسرعة ودخل احد البيوت القريبة، كنت صامته ولم اتلفظ بأي شيء!

وافكر هل فعلاً انا لا ازال على قيد الحياة؟

لم اكن اصدق ان السلاح الذي وجه نحوي بكل كراهية لم يطلق رصاصه تدخل جسدي كما حصل مع والدي قبل سنوات!

أغلق الشاب الباب واخذني الى داخل البيت وكانت غرفة الضيوف مظلمة بسبب انقطاع التيار الكهربائي، كان الشاب هادئا واوقد شمعه لتنير المكان ثم التفت لي وصرخ منفعلاً:

ـ هل انتِ حمقاء ؟

ـ هل تريدين الانتحار ؟!

هل تعرفين من هم؟! ومن الرجل الذي يضربوه حتى تتدخلي؟

صرخته جعلتني اكون اكثر استيعاب بما حصل وكأني كنت غير واعية واندفعت تجاههم من غير تفكير!

بقيت صامته للحظات بعدها قلت له: من انت؟ ولماذا ساعدتني؟

نظر لي وهو لايزال عاقد الحاجبين وغاضب، تركني وانصرف من

الغرفة فذهبت نحو الباب لأخرج فوجدته مفتوح وتوجهت نحو باب الشارع فسمعت اصوات رجال فاسترقيت النظر عليهم فوجدتهم نفسهم الرجال الملثمين الذين حاولوا قتلي فأغلقت الباب وانا اشعر بالخوف ولم اقوى على المغادرة ووجدت من الافضل ان اتكلم مع الشاب الذي انقذني عسى يرشدني مكان بيتي فبالرغم ما حصل انا لا ازال ضائعة ولا اعلم وجهتي!

كل الذي أتذكره ان أقرب نقطة داله لبيتنا هي روضة اطفال تقع على بعد امتار تقريباً عندما اجدها استطيع تمييز موقع بيتنا بسهولة،

عدت الى البيت ودخلت الى غرفة الضيوف ولم اتجرأ ان اذهب الى بقية الغرف وجلست على الكرسي وانا انتظر عودته كانت تأتي لي اسئلة كثيرة حول من هو؟

وهل يعرف الرجال الملثمين والرجل المقتول؟ ولماذا ساعدني!؟

بعد ربع ساعه دخل مرة اخرى فوقفت لأتكلم معه لكن وجدته يحمل كيس ابيض كبير وضعة ارضاً وابعد الطاولة جانباً وبدا كأنه يتجاهل وجودي!

فبيقت صامته وشعرت بالغضب ومما زاد غضبي انه عندما فتح الكيس اخرج منه مجموعة من القنابل اليدوية حوالي تسعة وبعدها قناصة ومخازن من الاسلحة ومجموعة من الطلقات المفردة وحوالي بندقيتين اعتقد انهما من نوع كلاشنكوف!

ومجموعة من الاشياء الغريبة علي لكن تبدوا كأنها من الاسلحة او تستعمل كجزء منها لا اعلم!

لكن شعرت بالخوف من هذا الشاب؟

هل يريد قتلي؟

اذن لماذا انقذني؟

هل هو جزء من هؤلاء الرجال المجرمين الذين قتلوا الرجل؟

لماذا يستعرض أسلحته نحوي؟

والقوات الامريكية في المنطقة أعلنت منع التجوال وتفتش البيوت بحثاً عن الاسلحة والمسلحين!؟

فقلت له بنبرة خائفة: ما هذا؟ ومن انت؟

فأبتسم ساخراً وهو يقوم بتفكيك احد البنادق وقال:

- انا فتاة مجنونه حاولت الانتحار باندفاعي تجاه اخطر الرجال من اجل رجل لا اعرف عنه شيء!

فشعرت بالأحراج لأنه يقصدني فقلت له:

- لست مجنونه! انه رجل مسكين وكانوا يضربوه بعنف

فقال لي بجديه: وهل تستطيع فتاة مثلك ان تنقذه؟

لم ارد عليه كوني اعلم اني كنت متهورة بتصرفي لكن غيرت الكلام الى سؤاله: ولماذا انقذتني؟

قال: واجبي ان انقذك لأنك فتاة، ولأني كنت املك القدرة على انقاذك اما الرجل الذي كانوا يضربوه كنت لا املك القدرة على إنقاذه لهذا لم اتدخل نفسكِ!

قلت له: من انت؟

وما هذه الأسلحة؟!

ألا تعلم ان الأمريكان بالحي!؟

قال: الا تعلم فتاة مثلك ان الامريكان مانعين التجول حتى اشعار أخر؟!

فلماذا كنتِ تتجولين بالشارع؟

فبقيت صامته لا اقوى على الرد عليه فلقد كان يبدو ذكياً وماكراً وقوي الحجة، جلست بالجوار وعاد هو يفكك الاسلحة، لاحظت السرعة الكبيرة التي يمتاز بها في تفكيكها بدا ماهر وهو يقوم بذلك وكأنه قام بذلك مئات المرات، عندما انتهى بدأ بأخذ اجزاء منها وكان يخرج من الغرفة ثم يعود ويأخذ مجموعة اخرى!

عندما انتهى ارجع الطاولة الى مكانها وسط الغرفة ووضع مزهرية الورد عليها ثم خرج الى الحديقة لخمس دقائق وعاد مرة اخرى ثم توجه نحوي وقال لي:

- البيت فارغ لا يوجد به سوانا والامريكان سيصلون بيتي قريباً فعندما يأتوا لنمثل على انك قريبتي جئتني من المدرسة لكي ادرسك وبقيتي هنا بسبب اعلان منع التجوال ولا تنظري اليهم ولا تتكلمي مع المترجم اذا تحدث اليك ابقي صامته وهادئة!

فنظرت اليه وانا لا افهم ما يجري ولم ارد عليه، لكن شعرت نوعاً ما بالأمان.

فصاح قائلاً: هل فهمتِ توجهاتي ام اعيدها؟

قلت له متذمرة: لماذا البيت فارغ؟ اين عائلتك؟

وهل يعقل اني استطيع تمثيل دور القريبة لك وانا لا اعلم عنك شيء؟!

فلم يرد على اسئلتي وانصرف عني ببرود كأنه لم يهتم باستفساراتي مما استفزني!

بعد عشرون دقيقة عاد لي وقال لي: اتبعيني

فرفضت ان اتبعه وبقيت جالسة فصرخ علي بعصبية:

هل تريدين تبقين هنا عندما يدخلوا جنود الامريكان!؟

فقمت بسرعة وانا اشعر بالخجل والخوف منه، أخذني الى غرفة صغيرة وايضاً مظلمة فقام بإنارة مصباح صغير فبدت كأنها غرفة فتاة فحزرت انها غرفة اخته!

بعد دقائق طرق الامريكان باب البيت وادخلهم ولم اكن اعلم ماذا تكلموا معه وكم عددهم لأني كنت جالسة بالزوايا بعدها دخل الشاب بالغرفة وجلس ايضاً وقال لي:

- أسمي مهند، احفظي ذلك، قد تحتاجين الى معرفته

فقلت له: وانا أسراء

- كم عمرك؟
- ثمانية عشر
- في اي صف تدرسي؟
- السادس علمي
- اين بيتكم بالضبط؟

لم استطع اجابته لان دخل جنديان امريكيان الى الغرفة بحجة تفتيشها فهذا الروتين اعتدنا عليه بين فترة واخرى يتم استهداف دورياتهم فيحيطون بالحي ويقومون بتفتيش البيوت والغرف من اجل البحث عن المتسببين بالهجوم عليهم كما يدعون، فقام مهند وسحبني من معصمي وجعلني جلس قربي في السرير وقام الجنود بفتح خزينه الملابس وهم يحملون اجهزة الانارة.

بعدها لا اعلم لماذا نظر احدهم الى السقف وتمتم لزميلة بشيء ما وبعدها انصرفوا!

نظرت الى مهند باستغراب وقلت له بصوت خافت:

- الان انت تركت لهم البيت ليعبثوا به ماذا عن اموالك والامور الثمينة كالذهب والمجوهرات وا ل أ س ل ح ة؟

فقال لي: الاموال بحوزتي اما الامور الاخرى فلا املك شيء اثمن من اسلحتي وهي بمكان أمن!

ثم اضاف: انصحك لو دخل الامريكان الى بيتكم ان تحملوا كل شيء ثمين من اموال وغيرها وتجلسوا بعيداً عنهم وتقللوا الكلام معهم،

بعدها جاء الضابط قرب الباب واشار الى مهند وذهب مهند قربه وكانوا يتحدثون باللغة الانكليزية ثم جاء المترجم قربهم وتكلموا قليلاً بالعربي،

حيث سأله عني فقال لهم اني قريبته وعندما سألوه عن بقية افراد العائلة فقال له:

- انتقلوا الى رحمة الله جميعهاً

فصدمت، أيعقل انه يعيش وحيد هنا؟

وهل افراد عائلته ميتين ام انها كذبة مماثلة لكذبته اني قريبته؟

فبقي بداخلي فضول لأعرف هل هو وحيد؟ واين عائلته؟

عندما انصرف الامريكان كان الوقت قد تأخر والساعة حوالي التاسعة، خرج مهند قرب باب الشارع لدقائق ثم عاد وقال لي:

- يمكنك البقاء والمبيت الليلة هنا لان مركباتهم وجنودهم بكل مكان ولايسمح بالحركة كما ان المطبخ بالجانب الاخر ان كنتِ تشعرين بالجوع، انا سأصعد الى غرفتي الان!

لم استطع استيعاب اني سأبيت الليلة في بيته! كيف انام في بيت رجل غريب؟

فقلت له مسرعة: انا الان سأعود الى بيتي!

فقال لي: تأكدت من الامريكان قالوا لي ان منع التجوال سيستمر حتى الساعة السادسة صباحاً، كيف تخرجين الى الشارع وهو مليء بالجنود هل انتي مجنونه!؟

بعدها انصرف وتركني وحيدة وانا بين نارين!

نار لا استطيع العودة الى بيتي ونار انا لا أعرفه فكيف سأقضي الليلة هنا؟

فهو رجل غامض ويملك اسلحة قد يكون عضو في التنظيم الذي قتل خالي بسيارة مفخخة؟

فتوصلت الى قرار ان اخرج من البيت مهما كانت العواقب فعندما خرجت الى باب الشارع وجدته مغلق كما استمعت لأصوات قوات الاحتلال وحركاتهم فعلمت انهم لايزالون بالقرب!

فجلست قريباً من الباب وانا ارتدي حقيبتي المدرسية وبدأت تأتي لي ذكريات حول والدي وخالي فأجهشت بالبكاء لاسيما الذكريات نقلتني الى سحابة حزن!

بدأت افكر لو كان والدي موجود لما حصل لي مثل هذا الموقف، كان الظلام دامس والجو بارداً، بقيت طويلاً هناك حتى الساعة الحادي عشر، شعرت بالتعب والنعاس.. حتى غمضت عيناي لفترة فنهضت على صوت يهمس لي بهدوء:

- اسراء!؟ الن تدخلي؟

فرفعت رأسي قليلاً وجدت مهند يقف امامي مع مصباح صغير!

عدت انظر الى الاسفل واشرت برأسي رافضة فكرة الدخول!

فقال لي هامساً: عندما تبقين هنا ستمرضين كما جنود الامريكان لايزالون في الجوار لأنهم وجدوا جثة الرجل الذي قتله الملثمون وسيتأخرون بالذهاب

بقيت جالسة وغير مهتمة بكلامه الى أن قال لي:

- ماذا افعل لكِ حتى تثقين بي وتدخلي؟

فقلت له: ان تخبرني من انت وما قصة الاسلحة التي تملكها؟

وماذا تعرف عن الرجل الذي قتله المسلحين ومن هم؟

فقال لي: أخفضي صوتك وتعالي الى الداخل واعدك اني سأخبرك بما يرضي فضولك!

دخلنا الى غرفة الضيوف وطلب مني ان اجلس مقابله له، خفض فتيل المصباح وقال:

لنبدأ بالرجل المقتول، سبق ان اخبرتك اني لا اعرفه ولم اكن استطيع مساعدته لكن من كان يضربه هم جماعة ارهابية خطرة لا تستهدف فقط قوات الاحتلال فحسب وانما المواطنين والشرطة والجنود العراقيين !

اما من انا وما قصة اسلحتي فمن الصعب ان اثق بك واكشف عن هويتي لكن سأجازف بعد ان تعديني ان يبقى الامر سراً!

قلت له: أعدك بذلك

قال: انا انتمي الى مجموعة تعرف بالـ«العراق الحر» الم تسمعي بها؟

قلت له: العراق الحر!لا لم اسمع بها، والصراحة لم اعد اثق بأي احد يدعي مقاومة المحتل بعد مقتل خالي بسيارة مفخخة من قبل جماعة تدعي المقاومة!

قال لي: بهذهِ الحالة انك ظلمتي فصائل كثيرة بريئة من اعمال هذهِ المجموعة المتطرفة!

قلت له: هل مجموعة العراق الحر تستهدف فقط جنود المحتل؟

قال: لا نستهدف جميع الجنود وانما فقط من نجدهم ويثبت عليهم انهم قاموا بأنه وتعذيب العراقيين وقتلهم بدم بارد ونعتمد بقتلهم فقط اسلوب القنص!

قلت له: كيف تستطيعوا ان تميزوا بين الجندي المذنب او الغير مذنب وهم كلهم محتلون؟

قال لي: نحن اعدادنا محدودة ورسالتنا حسب امكانياتنا فلا يمكننا قتل جميع الجنود وتركيزنا فقط على الجنود الذين يعاملون العراقيين بطريقة لا انسانية ولا اخلاقية ونستطيع ان نصل اليهم عندنا شبكتنا الاستخبارية الخاصة بنا!

قلت له: اليس جنود المحتل جميعهم لا انسانيون ولا اخلاقيون؟

قال: نعم ولكن؟

لم يكمل لي ما يريد وانصرف عني فبقيت هناك أسئلة كثيرة تطرأ على عقلي!

هل هو صادق بما يقول؟

وكيف يستهدف بعض الجنود؟

ارى هناك غموض كبير فيما قاله، هل يكذب علي؟

بعد نصف ساعة عاد الي ووجدني كنت اتمشى في الغرفة فالأسئلة الكثيرة التي طرأت على عقلي من هذا الشاب وما يخفيه!

سببت لي الصداع وكنت خائفة فلم استطع البقاء والجلوس وكنت افكر في الخروج مرة اخرى ولكن كيف اخرج في الظلام الدامس والشوارع مليئة بالأمريكان!

وقف مهند امامي فرفعت رأسي اليه ووقعت عيناي على عينية السوداء فوجدته ينظر لي بعمق ولم يحرك ناظريه فشعرت بالخجل وابعدت ناظري نحو الارض،

فقال لي: اذهبي الى غرفة اختي ونامي بها وسأضع مفتاح باب الشارع هنا عندما تشرق الشمس غـــادري!

كلمة «غادري» قالها بطريقة جعلتني اشعر اني عبء عليه وهو غير مرتاح لوجودي لكنه مضطر!

ذهبت الى غرفة اخته مسرعة فكانت مظلمة فحاولت اوقد المصباح الكهربائي فسمعت صوت خلفي يقول:

ـالا تعلمين انه لا يوجد كهرباء؟

التفت وانا مرتبكة كيف نسيت ذلك؟ انا عديمة التركيز تماماُ، فوضع قربي شمعة

وقال لي: لا تحرقي الغرفة!

اخذتها ودخلت الى الغرفة ووجدت هناك قفل فيها فوضعت يدي عليه لأغلقها لكني توقفت للحظات ولم اغلقها، شعرت بالتناقض ما بين ثقتي بهذا الرجل ونفس الوقت شعوري بالفضول حوله!

نظرت الى ارجاء الغرفة فحملت الشمعة وبدأت بالعبث ببعض الدواليب والمكتبة الصغيرة التي تتواجد قرب السرير، احاول ان ارى اي شيء يجعلني اعرف من هذا الرجل؟واين افراد عائلته؟

وان كنت الان بغرفة اخته؟ اين هي؟ هل هي متوفيه حقاً؟

وجدت مذكرات اخته فأخذت اتصفحها فعلمت انها فتاة بمثل عمري ولكن تاريخ المذكرات قديم مر عليها سنتين!

لماذا لم تعد تكتب؟

وان كانت متزوجة لماذا الغرفة هذه لا تزال نظيفة؟ يبدوا انها لاتزال تسكن هنا

ازدادت تناقضاتي حول عائلته لاسيما هو اخبر الضابط انهم انتقلوا الى رحمة الله!

استلقيت في السرير واغمضت عيني واعتقدت اني سأبقى مستيقظة طوال الليل لكن عندما فتحتها وجدت ضوء الشمس يدخل عبر النافذة فنهضت مسرعة والتفت الى الساعة وكانت المفاجأة انها الان الساعة التاسعة صباحاً

كيف حصل ذلك؟

هل نمت كل هذهِ الساعات؟

هل لا ازال في بيت مهند الذي اخبرني ان اغادر الساعة السادسة عندما تشرق الشمس؟

ماذا افعل الان؟

لماذا لم استيقظ؟

ماذا عن امي؟

والمدرسة قد فات وقتها؟

ركضت لأجهز نفسي للمغادرة وحرصت ان ارتب السرير جيداً وخرجت من الغرفة كنت اشعر بالخجل الشديد من مهند لأني تأخرت، ذهبت الى غرفة الضيوف لم أجده ولم اتجرأ لأنادي عليه او ان اصعد الدرج الى غرفته،

وجدت باب المطبخ مفتوح فدخلت وجدت على الطاولة جبن وبعض الخبز والحليب كأنه قد وضع لي لكني لم اتجرأ واتناوله لأني كنت

مستعجله على المغادرة فخرجت ووجدت مهند يحفر في الحديقة وبدا لي كأنه يريد استخراج اجزاء من اسلحته التي خبأها البارحة،

فقلت له: صباح الخير

فلم يلتفت لي ولم ينطق اي حرف واستمر بالحفر، استغربت من تصرفه! فقلت له:

- سأرحل الان واعتذر على التأخير..تفاجأت من استيقظت ووجدت ان الوقت متأخر!

كان لايزال يحفر كأني غير واقفة امامه! تجاهلني!

فاعتقدت انه كذلك لأني تأخرت بالنوم!

فأردت ان انطق كلمة: انا اسفة

لكنه قال لي بنبرة تهديد: عندما تغادري الان انسي ماذا حصل البارحة وانسي انك قابلتني ووما أخبرتك عنه ولا تكوني ثرثارة!

فتفاجأت لتغيره المفاجئ كأنه انسان أخر قلت له:

- انا ممتنه لك كثيراً لإنقاذي ولحسن ضيافتك لي..

فقاطعني مرة اخرى وقال لي بنبرة حادة: اخرجي وتذكري ان تكوني ثرثارة بما حصل وما قلته لك ليس من صالحكِ!

فذهبت مسرعة وانا اشعر بالخجل الشديد والخوف منه ولا اعلم لماذا شعرت بالحزن حيث نوبة حزن ملأتني وكنت اسير بالشارع وعلى وشك ان ابكي!

كنت أتساءل لماذا يتكلم معي بصورة فظه؟

رافق ذلك حزني لأني لم استطع ان اعرف عنه اي شيء

وصلت الى البيت وجدت امي كانت جداً خائفة علي وغاضبة مني وعانقتني وهي تبكي وقالت منذ الليلة اتصلت بي حنين واخبرتني انك غادرتي بيتهم وانا اتصل بك واسأل وكنت خائفة عليكِ جداً

لم اكن احب ان ادع امي حزينة ولكن ما حصل لي الليلة جعلني مرتبكة جداً ولم استطع ان اتصل او اشحن هاتفي حيث بيت مهند لم يكن فيه كهرباء...

وضعت هاتفي على الشحن وفتحته وجدت مكالمات فائتة من والدتي وصديقتي حنين، فأرسلت لها الان في البيت وطمأنتها حيث كذبت عليها وعلى امي واخبرتهم اني كنت بالمسجد وقررت الاحتفاظ بما جرى الليلة الماضية سراً داخل قلبي ولا اثرثر!.

- 5 -

لايزال الموقف الذي حصل لي مع مهند في عقلي بل بدأ قلبي يشتاق الى كل لحظة كنت فيها معه كان بالنسبة لي كالفارس الذي انقذ أميرته كما يحصل بالقصص الاسطورية، ظهر لي مهند من العدم وانقذني عندما تصرفت بتهور خطير مع تلك المجموعة الارهابية بل قضيته التي يعيش من اجلها جعلتني احبه اكثر فهؤلاء جنود الاحتلال يقتلون الاطفال والشباب ويعذبونهم من غير رقيب وحسيب!

ولكن الجماعة التي ينتمي اليها مهند لهم بالمرصاد وتقتل كل جندي يقتل العراقي بدم بارد! مضى على الموقف شهر ولكن كل يوم أتذكره، كل اربعة وعشرون ساعة كأنه حصل البارحة بل جسدي وروحي طغت على عقلي وسحبتني الى بيته حيث كنت اخبر السائق ان يجعلني انزل بمنتصف الطريق بحجة اريد الذهاب لصديقتي،

ولكني كنت اسير حيث تدفعني روحي الى بيت مهند ولكن لم اتجرأ ان اطرق بابه فقط اسير هناك بالشارع واتأمل الباب عسى ان يخرج منه ولكن للأسف لم افلح ولا مرة في ان اقابله ولكن قلبي وعقلي معلق به بشدة!

لم اتخيل نفسي يوماً وبهذهِ الظروف ممكن ان اشعر بمثل هذهِ المشاعر!

فما حصل لي معه كان أشبه بالخيال وانا كنت فضولية تجاه الجماعة التي ينتمي اليها وبحثت عنها في الانترنت فلم اجد ما يقلل فضولي!

فلم تكن هناك اخبار عنها سوى مقاطع قليله في اليوتيوب تظهر فقط القناصة وهي توجه الى الجندي الامريكي وهو غافل ولا يعلم!

ويرافق ذلك المشهد ظهور رجل ملثم ويقرأ خطاب يتوعد الجنود المذنبين بالاقتصاص وما شابة ذلك، لقد بقيت اسير في ذلك الشارع عسى اقابل مهند واتمنى ان تعاد تلك اللحظة التي جمعتني به وجعلته يتحدث الي اريده ان يتكلم معي اكثر عن عائلته وعن بطولاته فما فعله معي يعتبر جزء بسيط من سلسله كبرى لأعمال بطولية لهذا الرجل الشهم!

كما بدأت تأتي لي افكار غريبة بأنه قد يكون متزوج او على علاقة مع فتاة ما وبدأت اغار من تلك الفتاة حتى اني لم اتأكد بوجودها!

مستواي العلمي انخفض بصورة تدريجية والمدرسات بدأوا يؤنبوني على رسوبي في الاختبارات، صديقتي حنين اكثر من مرة تخبرني اني تغيرت ولا ابدو على ما يرام !

لم تعد لي لدي أي شهية للطعام ولا اعلم ما الذي اصابني هل الغثيان والقلق والتفكير من علامات الحب؟

ما السحر الذي القاه لي ذلك الرجل؟

وما بداخل قلبي وعقلي الذي حاولت ان اخفية عن الجميع حصل اليوم الذي اعترفت به لحبي له ولكن مع الفتاة الخطأ!

انها كانت ريحانه التي كانت من النوع الذي يصادق الشباب ويتواعد معهم بعد المدرسة وكانت تضع مساحيق التجميل وتلبس حذاء ذو كعب عالي وتظهر شعرها من مقدمة رأسها بالرغم من انها ترتدي الحجاب وكانت كثيرة التعرض لتوبيخ من المديرة لان ملابسها ضيقة وغير ملائمة للمدرسة كنت جالسة في الصف وكالعادة عقلي يفكر ماذا يفعل مهند الان؟

وكانت خلفي ريحانه تتكلم مع احد اصدقاءها بالهاتف وتضحك بأصوات عالية، فلم استطيع الصبر التفت نحوها وصرخت عليها: لو سمحتي اخفضي صوتكِ!

أستمرت بالحديث وبصوتها العالي متجاهله كلامي لها وبعد انتهاءها توجهت نحوي وجلست امامي وقالت لي: اراك هذهِ الايام ترفعين صوتكِ لي وتتجرئين على الصراخ؟

نظرت لها باحتقار ومسكت لساني من الرد عليها ولكنها استفزني بعبارة:

- جميعكم تغارون مني لأني املك الكثير من المعجبين

لا أعلم لماذا عبارتها هذهِ جعلت فكرة تطرأ على عقلي برغم من انها استفزتني

حيث بدأت أفكر لماذا لا اتبع جزء من اساليب ريحانه لأصل الى قلب مهند وأجعله يحبني كما أحبه؟

بل بالأقل أجعله يعرف أني لا أزال اتذكره! وما حصل بيننا ليكون البداية وليس النهاية!

فمسكت يدي ريحانة وسحبتهم بقوة حتى هي شعرت بالاستغراب مني وفتحت أعينها بقوة وقالت لي: ماذا بك

قلت لها مسرعة: كيف أجعله يحبني؟

قالت لي: من هو؟

قلت لها: هناك شخص ما انا معجبه به كثيراً وأريده ان يبادلني الأعجاب

ضحكت بصورة هيستيرية وقالت باستهزاء: أيعقل الفتاة المهذبة المجتهدة واقعة في الحب ؟!

قلت لها: ريحانه انا جادة الموضوع مهم بالنسبة لي انا اتألم افكر به 24ساعة!

بقيت ريحانه لمدة ثوان تنظر لي وتهز رأسها وقالت بعدها: سأساعدك ولكن بشرط!

قلت لها: مستعدة افعل لك اي شيء ان ساعدتني

قالت لي: الامتحانات قربت واريد ان انجح ولهذا سأدرس معاك طوال فترة الامتحانات او نسيت انا لا احب الدراسة سأجلس قربك وتجعليني اغش!

ليس من عادتي ان اساعد احداً في شيء خطأ كالغش ولكن هذهِ الايام ومنذ لقائي بمهند اشعر اني تغيرت في كثير من عاداتي صرت لا أحكم عقلي في قرارتي فقلت لريحانة: موافقه! سأجعلك تغشين!

وبعدها طلبت مني أن أسرد لها حكايتي مع مهند لكني لم أستطع أن أبوح لها بما حصل فاكتفيت بأخبارها اني فقط وجدته بالشارع يساعد طفلة صغيرة بشهامة ومودة فأنعجبت به وسألتني ان كان يعرفني فقلت لها قليلاً انه يعرف امور قليله عني!

فاقترحت علي العديد من الأمور وجدتها لا تتناسب مع مبادئي وشخصيتي ولكن احد أفكارها الغريبة قمت بتحويرها وقررت تنفيذها والخطة كانت أن العيد قد أقترب وسأقوم بعمل الحلويات واذهب اليه واقدمها له تعبيراً عن شكري وأمتناني لما قام به من أجلي قبل شهر!

وحصل ذلك بالفعل حيث قبل العيد كنت في المطبخ متحمسة في عمل الحلويات لاسيما الكليجة، دخلت لي امي وهي تراني اغني وانا اعمل باستمتاع فقالت لي باندهاش:

- أسراء هذهِ كميات كبيرة هل سنأكلها كلها؟

قلت لها: لا لكن سنعطي لصديقتي حنين وأصدقاء عمر وزميلاتك في العمل وكل شخص ساعدنا سواء بكلمة او فعل!

فضحكت أمي وقالت: فكرة جيدة

انتهيت من كل شيء قبل اذان المغرب وغداً هو اول ايام عيد الأضحى فكنت متحمسة وبكل جرئه ان ارتدي ملابسي الان واذهب الى بيت مهند واكون اول شخص يقدم له تهنئة وحلويات العيد!

فارتديت افضل ملابسي ووضعت بعض مساحيق التجميل كما نصحتني ريحانة وأخذت سلة زينتها بالورد ووضعت بعض الكليجة وقطع من الكيك والبسكويت وكتبت رسالة قصيرة بها كلمات شكر وامتنان له واخفيتها اسفل السلة واخبرت أمي اني اريد الذهاب الى بيت حنين فاستغربت أمي من مظهري وبدأت تتساءل مستغربة من استعجالي لمعايدة صديقتي والعيد غداً وليس اليوم!

لم اكن مرتاحة من كذبي عليها!

لكن هناك شيء داخلي يدفعني الى مهند ومتأكدة عندما أبوح لها بالحقيقة ستمنعني فأمي انسانه محافظة وترفض مني ان اقيم علاقة مع شخص غريب وانا كذلك لا اسمح لنفسي بذلك لكن الموقف الذي حصل لي مع مهند جعلني اتغير! وقلبي يدق!

فاقترحت أمي ان اتصل بالسائق الذي يوصلني الى المدرسة ليأتي ويأخذني الى حنين ولكني رفضت وأخبرتها اني سأكون على ما يرام،

ذهبت اسير وانا أفكر ماذا سأقول لمهند؟

وهل سيرحب بي؟

ما ان وصلت الى الشارع الذي يقطن بيته فيه حتى اخفيت وجهي بالحجاب

وسرت واثقة مما سأفعله انه سيريح قلبي لم يكن هناك ناس كثيرون في الشارع عدا القليل كانوا عائدون من صلاة المغرب ما ان دخلوا لبيوتهم ضغطت على جرس الباب ثلاث مرات حتى فتح لي الباب فنظرت له وانا سعيدة جداً لأنه فتح الباب لكنه كان مندهش جداً من وجودي،

فقال لي وهو يتلعثم: مـــاذا.؟؟؟ ما تريدين!!؟

فابتسمت له وقدمت له السلة وقلت له: عيدك مبارك

لكنه رجع للخلف ويهز راسة رافضاً السلة وقال لي بعدها بلهجة شديدة:

- اخبرتك ان تنسي ما حصل بيننا انا لا عرفك وانتِ لا تعرفي عني شيء فهمتي؟ لماذا عدتي!

قلت له: لكن فقط أردت ان اشكرك على مساعدتك لي

فقال لي غاضباً: ألا تفهمين؟ بدأت اشك بأمركِ

بعدها التفت يميناً ويساراً بالشارع ثم سحبني للداخل وهمس بأذني:

- أذهبي وأن عدتي مرة أخرى سـ أقـــ تـــ لـ ك!

كانت كلماته كالسهم الناري الذي دخل لقلبي، كنت جداً مصدومة!

لماذا يعاملني هكذا؟ يمكنه ان يرفض مجيئي له ولا ألومه على ذلك لكن لماذا يهددني؟ ويصرخ علي؟ الم يساعدني تلك الليلة؟

فتركت السلة من يدي وخرجت مسرعة ولم أستطع أن اقف عن البكاء

فوصلت للبيت وتوجهت لغرفتي واغلقت الباب وجلست ابكي فجاءت أمي تطرق الباب وتناديني، فمسحت دموعي وحاولت ان اكون طبيعية وطوال ايام العيد انا افكر بالذي حصل وكرهت اللحظة الذي استشاريت بها ريحانه فهي من اقترحت لي ان ابحث عن عذر لأذهب لبيته وأكلمه لكن بعد الذي حصل شعرت كأنني استيقظت وان ماكنت اشعر به مجرد وهم!

ولأني بفترة المراهقة تعلق قلبي به كنت احاول اقنع نفسي ما اشعر به لا يمثلني ومن تحبه ليس انا كنت متشتتة جداً، قررت ان اعود لدراستي وامحي مهند من ذاكرتي وانشغل بحل الواجبات لكن لم استطع النسيان حتى حصل الغير متوقع في احد الايام كان هناك رقم غريب يتصل بي ولكني لم اكن اجيبه!

حتى وصل عدد اتصالاته في تلك الليلة 30مرة فقمت بالرد وتفاجأت ان المتصل هو مهند!

كنت سعيدة جداً انه اتصل بي بالرغم من اني اعتقدت اني كرهته في اللحظة التي هددني بها لكني كنت عكس ذلك، أخبرني انه حصل رقمي بطرقة الخاصة واعتذر لي!

واخبرني انا كأخته الصغيرة وان احتجت شيء انا وامي ان اتصل به!

ومنذ ذلك اليوم وانا لا امنع نفسي من الاتصال به بين فترة واخرى فكان احياناً يرد علي بسرعة واحياناً لا يرد علي ويقفل هاتفه!

ومع ذلك كنت سعيدة جداً بإضافته الى قائمة الاشخاص الاعزاء في حياتي وكان هو يستمتع بمحادثتي معه وقصصي له عما يحصل بالمدرسة وما حصل معي في الماضي. بينما هو كان غامض جداً ولا يكلمني عن ماضية..

ونهائياً لم تأتي لي فكرة أن أسأله لماذا عاد وكلمني؟!

كان ينصحني ويرشدني ويشجعني على الدراسة واجتزت الامتحانات النهائية بمعدل عالي وتم قبولي في كلية الطب.

كان جداً سعيد وفخور بي ومع الايام علمت من احد اسباب انجذابي نحوه هو شعور الامان الداخلي الذي غمرني به والذي افتقدته منذ مقتل والدي.

- 6 -

منذ قبولي في كلية الطب وانا حياتي قد تغيرت كثيراً بل بدأت احب ايامي وكأني اعيش احلى لحظات حياتي فعندي امي الغالية واخي عموري ومهند الذي كان يعتبرني كأخته الصغيرة لكني بصراحة كنت أعتبره اخي وابي وحبيبي كنت اتصل فيه في عطلة نهاية الاسبوع وقد تطور كلامه معي وبدأ يخبرني بمغامراته وبطولاته وجاء لي مرة واحدة في الجامعة وتكلم معي عن أحد مهماته التي سينفذها وفي اثناء حديثة شعر قلبي بالخوف من ان يتم الامساك به من قبل قوات الاحتلال وان افقده كما كنت اعرف اني لو طلبت منه ان لا يقوم بالمهمة هذه سيغضب مني لأنه يريدني ان اشجعه واسانده لا ان اقلق وفعلاً يجب ان أسانده واشجعه لان ما كان يقوم به قضية وطن ولكنني انانية كنت اريد مهند لي ولا أرغب بخسارته فكنت اريده ان يوقف عملياته.

احد الايام كنت جداً خائفة وقلقه عليه فاقترحت عليه ان يترك قضيته وحاولت ان افهمه ان ما قام به الى الان يكفي وحان الوقت ليعيش حياته!

ولكنه اصبح انفعالي جداً معي وقال انه لم يكن يتوقعني هكذا وسيقطع علاقته بي ولا يريدني ان اتصل به، حاولت ان اجعله يفهم اني احبه واخاف ان افقده لكنه كان مصدوم مني لأني احرضه على ترك قضيته التي يؤمن بها ويعيش من أجلها وبقي لا يرد على اتصالاتي لمدة ثلاثة أشهر!

لكني لم استسلم وكل يوم كنت ابعث له رسائل بها ادعية..

في احد الايام كنت عائدة من الجامعة فإذا بي من بعيد ألاحظ همرات أمريكية تحيط بشارعنا واقتربت اكثر فرأيت العديد من الناس والجنود متجمهرين قرب بيتنا!

فشعر قلبي بالخوف ان هناك شيء سيء قد حصل فحاولت التقدم لكن احد الجنود طلب حقيبتي ليقوم بتفتيشها حيث الاجراءات كانت كذلك!

يقومون بتفتيش اي احد يقترب منهم حتى لو كان متوجه لبيته، تركت حقيبتي بيد الجندي وتقدمت فإذا بي ارى شخص مقتول ودماءه تملئ الارض وقربه جالس احد الجنود واثنان واقفان امامة وقربهما جندي امريكي يضرب جندي أخر!

كنت مصدومة جداً واتقدم بسرعة لأرى من هذا المقتول فإذا ملامح اخي عمر بدأت تتوضح لي وانصعقت من علمت انه الشخص المقتول فشعرت كأني قلبي سيتوقف من الخفقان وركضت مسرعة وانا ابكي واصرخ ومسكت اخي وعانقته بشدة حيث الرصاصة قد اصابته في منتصف رأسه كنت لا اصدق انا اعانق جثه اخي وانه لا يتحرك!

كنت أصرخ بشدة: عموري لا تتركني، عمر

فهم الجنود اني اخت المقتول فابتعدوا عني فتوجهت جارتنا ام مهيمن نحوي وعانقتني وحاولت ان تهدأني.

فسألتها: من قتلة؟

فلم تجيبني كانت تقول لي: اخوكِ شهيد بالجنة تشوفيه ان شاء الله!

فصرخت عليها: من منهم قتلة؟

فأشارت لي الى احد الجنود الذي كان زميلة يضربه!

قبلت اخي من رأسه حيث مكان الطلقة واخذت من دماء وجهة وبدأت اضع على وجهي وقميصي لا اعلم لماذا لكن كنت اريد دماءه تغمرني أريد ان اكون مثلة جثة بلا روح، اريد ان اغادر حيث غادر هو! اريد ان اشعر به عندما دخلت الرصاصة لجمجمته بعدها توجهت الى الجندي الحقير الذي قتلة لم يمنعني زملائه من التقرب منه لانهم ايضاً كانوا يضربونه كان جاثياً على الارض ووجهة محمر قال لي وهو يتلعثم كأنه سكران:

Hi girl!

I am so sorry but your brother threw stone on my face!

لم اكن اهتم لكلماته الانجليزية الغبية التي تتفوه منه بل تقدمت وحاولت ان اخنقه فدفعني بقوة واسقطني بالأرض ، حاول زملائه أن يبعدوه عن المشهد ويخبروه ان يدخل الى الهمر!

لكني توجهت نحوه مرة اخرى وبدأت اضربه في صدره بقوة وانا اصرخ:

- اقتلني كما قتلته.. اقتلني الان

حاولت ام مهيمن وزوجها ان تبعدني ولكن احد الجنود المسؤولين اشار لهم ان يبتعدوا وابعد زملائه وتركني اضرب زميلهم المجرم الذي كان واقف امامي كالحائط ولم يتحرك ولم يتأذى من يداي النحيلتين الى ان سقطت متعبة ومنهارة نفسياً وجسدياً حتى اغمي علي واستيقظت على صوت امي وهي قربي بالمستشفى كانت تضع يدها على رأسي وتقرأ بعض سور القران فلما احست اني مستيقظة قالت لي:

- أتعلمين كم مضى لك وانتِ بالسرير؟

يوم كامل!!

بعدها عانقتني وهي تبكي بحرقة وتقول لي: لم يبقى لي احد سواك، عموري الله يرحمه وينور قبرة كانت امي تبكي وانا داخلي كالبركان مشتعل حقد لقوات الاحتلال فسألت امي عن سبب قتلهم له. فقالت لي انهم كانوا دورية تسير وعندما مروا قرب بيتنا عمر كان بالخارج يقف ورمى عليهم بالحجارة واحد زملائهم كان سكير وفاقد عقلة واطلق الرصاص على رأس اخي!

فصرخت بحرقة: وهل اعتبروا ما حصل مجرد حادث غير مقتصد ولن يعاقبوا المذنب

قالت لي امي: اهدئي يا ابنتي ما بيدنا حيلة، هم قدموا للبيت صباحاً وقاموا بزيارتك بالمستشفى وحتى احضروا قنوات اعلامية وصوروا الحادثة كأنهم تلقوا تبليغ لمقتل عمر برصاص مجهول ويحاولون يتسترون على زميلهم وقدموا لي مبلغ مالي ورفضته، فنهضت من السرير غاضبة وتوجهت نحو الباب فصاحت امي مستفسرة مني الى اين اذهب؟

فقلت لها: سأذهب انتقم منهم

فحاولت امي ان تمنعني من الخروج وصرخت علي وهي تبكي: إسراء ارجعي لمكانك ولا تتهوري

اما انا لم استطع الاستماع اليها فلفقد خسرت والدي بسبب الميليشيات وخالي بسبب الارهاب واخي بسبب الاحتلال..كنت جداً اكرههم واريد الانتقام لأخي وذهبت الى بيت الانسان الوحيد الذي يمكنه ان يشفي غليلي ويثأر لأخي!

طرقت الباب على مهند وما ان فتح الباب حتى دخلت من غير ان يؤذن لي!

فقال لي انه اسف لما جرى لأخي وحاول ان يكمل تعازيه لي لكني قاطعته واخبرت:

- اريد الانضمام الى مجموعتك وانا من سيقتل ذلك الامريكي السافل!

فهز مهند راسة وقال: أسراء عزيزتي اهدأي وعودي الى والدتك انها بحاجة لك وانا منذ اول لحظة علمت بأمر اخيك وانا اترقب مكان ذلك الامريكي لأجد فرصة لسحق رأسه!

قلت له: لن اصبر! طفح الكيل! الان لنقتله

فهز مهند رأسه وكرر جملته بأن اصبر واعود لأمي واترك كل شيء له وهو يتكفل بالثأر

فقلت له: توعدني؟

فوعدني وأكد لي بضرورة بقاءي بعيده عنه حالياً!

عدت الى البيت وعشت انا وامي بمرارة ونحن نرى ملابس وكتب وغرفة عمر،

أمي كانت دائمة البكاء وقراءة القران والصلاة وكأنها انفصلت عن الواقع فلم تعد تتناول وجباتها ولا تذهب الى العمل، آما انا كنت بجانبها واعتني بها والمضحك كل يومين تقريباً يأتون جنود امريكان الى بيتنا ليقدموا لنا بعض المساعدات السخيفة المتمثلة بالغذاء والماء!

ظناً منهم ان ذلك يخفف عنا ما ارتكبته ايداي زميلهم السكران بحقنا!

ولكني كنت افسد ما يقدموه لنا امامهم!

لكن بالرغم من كل هذا بعض الناس لم يكونوا يعلمون ذلك واعتقدوا انا وامي نستضيفهم بل ظهرت شائعات كاذبة عني انا وامي اصبحنا اصدقاء وجواسيس للقوات الامريكية!

وكثرت الشائعات التي يطلقها أصحاب النفوس المريضة حتى وصلت الى الجماعات الارهابية وحصلت الفاجعة في ذاك اليوم!

عندما عدت للبيت فوجدت الباب قد كسر والدماء تملئ المكان وامي مقطوع رأسها والناس قد غطوا جسدها!

ماذا افقد اكثر مما فقدت؟

هل يوجد اسوء من قتل امي بهذهِ الطريقة الوحشية بسبب شائعات زائفة بأننا عملاء للاحتلال!

بينما كنا نطرد الجنود كلما قدموا لبيتنا ونحن ضحايا قتلوا احد افراد عائلتنا!

لم استطع تحمل الظلم الكبير الذي تعرضت له انا وامي وأصابتني نوبة جنون لم استطع ان اتحكم بنفسي فكنت اصرخ بالشارع واضرب اي شخص يتقرب مني بل بدأت بضرب نفسي شعرت اني بدأت انفصل عن الواقع بدأت ارى كل شيء اسوداً حتى اقترب مني مهند ولم استطع أبعاده واخذني للمستشفى لمدة شهر ولا ازال طريحة الفراش في المستشفى وكانت صديقتي حنين وجارتنا ام مهيمن يهتمون بي بصورة دورية ومهند يزورني بين فترة واخرى.

كنت صامته لم اتحدث بأي شيء منذ حادثة مقتل امي وحتى عندما ارادت ام مهيمن ان تبشرني بأنه تم ألقاء القبض على الذين قتلوا والدتي، اشرت لها ان لا تكمل فلم أعد اريد سماع اي شيء!

لم اعد ارغب بأي شيء لا اريد الانتقام لمن قتلوا امي واخي وابي وخالي

لا اريد أي شيء سوى ان اغادر هذا الواقع القاسي..!

حتى مهند حاول يخبرني ان الجندي الذي قتل اخي قد انتقل الى بغداد وانه سيتبعه الى هناك فأشرت له بالرفض!

لم يكن احد منهم يستطيع ان يفهمني لماذا لا اتكلم لكنهم شعروا بمقدار الألم الذي أشعر به بداخلي!

كنت مجرد انظر الى السقف ولا يمكنني ان اغلق عيوني ولا حتى النوم لأسابيع متواصلة! كأني جثة هامدة..جسد بلا روح!

- 7 -

لم اكن اعلم أن انضمامي لمجموعة « العراق الحر» سينتهي اليوم، لم أكن أعلم أن أسراء مهمة لقلبي لهذهِ الدرجة! فأنا افكر بها وأخطط لأنتقم لأخيها لأفرحها فإذا بفاجعة قتل امها من قبل الارهابين؟

مجرد ان افكر اضع نفسي مكانها أجدها في موقف صعب ويذكرني بنفسي منذ سنوات عندما دهست دبابة الاحتلال سيارة عائلتي وقتلتهم بدم بارد!

لا اشعر بالراحة واجد نفسي انجرف كثيراً بعاطفتي وأصبحت مزاجي فخالفت أوامر قائدي الذي كلفي بمهام أخرى ورفض ان اسافر الى بغداد من اجل الانتقام لأخ أسراء بحجة انه يملك خلية هناك هي من ستتكفل في التعامل مع ذلك الجندي لكني كنت مصراَ ان اقوم بنفسي بذلك فقررت ان اذهب من غير موافقته وحصل جدال بيني وبينه انتهى الى تخليه عني لاسيما اني اخبرته بوجود وضع الارهابين امام فوهة بنادقنا لأنهم ايضاً يقتلون العراقيين بدم بارد فرض اقتراحي وتطور جدالي معه الى ان اخبرني: ان أم أسراء قد تكون فعلاً عميلة لكثرة تردد الامريكان لبيتها!

حاولت ان أفهمه انهم كانوا يذهبون لبيتها كونهم قتلوا طفلها لكن لم يتفهمني وطلب مني التركيز على العدو الأول وهو الاحتلال لكني وجدت

ذلك لا يتماشى مع هدفي الرئيسي للانضمام الى مجموعتهم وتكريس حياتي لخدمة قضيتهم فأنا الان عقلي وقلبي متوجهة نحو أسراء وأحاول أخفف عنها وفي أحد الأيام عندما قررت السفر الى بغداد ذهبت لأطمئن عليها لم تفتح لي الباب وبقيت طوال اليوم اتردد على بيتها لعلها تفتح الباب لكنها لا تفتح لي لا باب ولا حتى الهاتف!

فسألت جيرانها أم مهيمن عنها فقالت لي: الامريكان قد أخذوها بعيداً ولا تعرف الى اين؟

انصدمت جداً وشعرت بالغضب الشديد وشعرت كأني افقد عقلي، كنت خائف عليها

واتسأل من اين ابدأ في البحث عنها؟

اخبرني أحد الشباب الجامعيين انه رأها في الساعة السادس فجراً خرجت من بيتها وهي ترتدي ملابس بيضاء وحافية القدمين!

فحاول ان يتكلم معها لكنها لم تنظر اليه وكأنها لا ترى ولا تسمع!

فأستمر بملاحقتها حتى وصل الى الشارع الرئيسي الذي تم وضع فيه حواجز من قبل جنود الاحتلال ومنعوا السيارات المدنية بالسير فيه،

دخلت فيه اسراء وبقيت تمشي لوحدها هناك وفي وسط الشارع بدأت تدور حول نفسها كالمجنونة ثم توقفت تنظر لشمس وتشير اليها وبدأت بالضحك بعدها استمرت بالسير ونامت في وسط الشارع!

فذهب قرب السيطرة التي في نهاية الشارع وكان فيها عدد من الشرطة العراقيين وقال لهم: توجد فتاة مريضة ونفسيتها تعبانة وتحتاج مساعدة فأخبروني: آين هي؟ فقلت لهم انها نائمة وسط الشارع!

كنت اعتقد انهم سيذهبون ويساعدوها ويرجعوها للبيت او المستشفى لكن الصدمة عندما ذهبوا وجدوا دورية لجيش الاحتلال قد سبقتهم وقاموا بتقيد أسراء وتغطية عيونها واخذوها في مركبتهم العسكرية واتوقع أخذوها الى قاعدتهم في جنوب المدينة!

الان اصبحت اعرف اين اتوجه ببحثي عنها لكن الطريق صعب فكيف ادخل الى القاعدة؟

وانا وحدي؟

كيف سأساعدها؟

فقررت ألجأ الى القضاء والمنظمات الدولية والوطنية لحقوق الانسان ان يساعدوني في اطلاق سراحها كذلك طلبت من عمادة كلية الطب ان تقدم طلب في التحقيق بفقدانها كونها طالبة عندهم ووجدت تفاعل وتعاطف كبيرمن قبل الاساتذة وزملائها في الكلية وقرروا الخروج بمظاهرات وحتى صديقاتها قاموا بنقل قضيتها في مواقع التواصل الاجتماعي لجعلها قضية عامة،

وما أن بدأت قضيتها تصل الى الأعلام تدخل جنود الاحتلال بأنزالهم تقرير عنها

واظهروا فيديو لها وهي في غرفة صغيرة ونائمة بالسرير وظهر طبيب نفسي يتحدث عنها ويقول انها ضحية الارهاب وتعرضت لصدمات نفسية قاسية!

والامريكان تكفلوا بعلاجها في مستشفاهم العسكري المخصص

لجنودهم الذين قدموا للعراق واضاف انها الان تتلقى معاملة جيدة وعلاج مكثف!

فتحولت المنظمات والاعلام والصحف الى مدح الاحتلال الامريكي ومبادرتهم في علاجها وقاموا بتغير الحقيقة انها تم اختطافها من قبلهم وقتل اخوها بدم بارد!

ولهم سبب كبير في قتل والدتها، في تلك اللحظة شعرت اني امام مهمة صعبة فلا الحل المدني ينفع الان في اطلاق سراحها لانهم يعتقدون انها مجنونة!

ولا استطيع اهاجم المستعمرة التي تضم مئات الجنود والمركبات العسكرية فبقيت افكر في طريقة فتوصلت افضل وسيلة ان اجد شخص يتوسط لي ان اعمل في اي وظيفة داخل قاعدتهم حتى لو بدون اي مبلغ مالي!

كنت اسعى لدخول تلك القاعدة مهما كلف الثمن ومع الصبر لأشهر طويلة وكثر زياراتي لمختلف الشخصيات استطعت ان اتوظف هناك كعامل نظافة وفعلاً كنت مصمم ان اول بوادر خطتي ادخل لهناك من غير ان يشكوا بي واتعامل معهم كعامل مطيع وبعدها احدد في اي مكان تتواجد أسراء ومن ثم أبدأ بخطتي لإخراجها منهم!

لم تكن الخطة سهلة ولم اكن راضي ان اتحول من شخص مجاهد للاحتلال الامريكي الى شخص يعمل لديهم لكنها كانت الطريقة الانسب لإنقاذ أسراء التي لا تملك اي سند لها بالحياة بعد فقدان والدتها وكنت اعد ايامي بالدقائق ووضعت خطة محكمة لإنقاذها حتى لو كان ذلك على حساب حياتي.

و رتبت لها حياة كريمة بعد أن أخرجها من هنا وحتى اني اتصلت بشخص أثق به واعطيته بعض المال من أجل مصاريفها وسكنها، وجدت في القاعدة عاملة نظافة كانت تبتسم لي كلما رأتني وتخاطبني: يا ابني ! فحاولت الحديث معها أكثر من مرة حتى أني سألتها لماذا تعمل هنا ؟

فقالت ان ظروفها المعيشية صعبة وزوجها مشلول فكانت مجبورة لتعمل لديهم، فاستغليت موقفها ضدهم وحاولت ان اجعلها تكون معي بالمهمة ترددت بالبداية ورفضت ووعدتني انها لن تخبرهم عني لكنها تفضل تبقى بعيدة ولانتشارك كونها لا تريد المجازفة بحياتها فعندها اطفال تصرف عليهم فقلت لها اني لا احتاج منها سوى انقاذ اسراء واخبرتها عما حصل لأسراء بالتفصيل فبدأت تبكي عليها ووافقت على مساعدتها فأخبرتها عما سيحصل بعد ثلاثة ايام واين ستجد أسراء وماذا تفعل بعد ذلك.

- 8 -

ها انا أجلس في غرفة شبة فارغة لا يدخلها الضوء ألا من خلال نافذة ضيقة وعالية جداً لا أستطيع ان اصل لها لأرى اين انا؟

هنالك الكثير من أثار ضربات الإبر على جسدي لا أعلم ما نوع الحقن التي يحقنوني بها لا طاقة لي بالحركة!اين انا؟ ماذا افعل هنا؟

وجدت نفسي ارتدي ملابس بيضاء وكانت الجدران خضراء اللون ما هذا التنسيق؟

بعد ساعة دخل علي رجل مسن صغير القامة وضخم الجثة يرتدي نظارات كبيرة الحجم وكانت يتحدث بالإنكليزية معي فلم أكن ابالي له ولا ازال انظر حولي واحاول استنتاج اين انا، الى ان خرج الدكتور فحاولت ان اتبعه نحو باب الغرفة ولكني وجدت نفسي بطيئة الحركة جسمي كأنه مشلول!

لا اعلم كم الفترة الزمنية التي كنت نائمة فيها،

وصلت الى الباب بصعوبة ولأنه كان مغلق فتمددت قربه كان الروتين ملل يدخل الدكتور الى الغرفة ويطلب ان يحملوني الى السرير بعدها يعطيني حقن ثم تأتي ممرضة ترتدي ملابس مماثلة لجنود الاحتلال وتقوم بتطعيمي وبعدها تخرج واتبعها بصعوبة لأخرج معها فتغلق الباب بوجهي وابقى في الارض انتظر احد ما يفتح الباب لي عسى ان استطيع الخروج

كنت أشعر اني فقدت شيء ما داخلي؟ هل هي روحي؟

اعلم هناك شيء نسيته ولا أستطيع تذكرة ما هو؟

الادوية التي يعطونني اياها تجعلني اعجز عن التذكر!

في احد الايام وجدت شيء رائع فهناك حمامة اصبحت رفيقتي بالغرفة حيث جاءت قرب النافذة وبنت عشها وبقيت نائمة وبقيت اتأمل مغادرتها لتتناول طعامها وعودتها لاحتضان بيوضها، وفي احد الايام طلبت من الممرضة ان تغادر وتترك الغذاء وانا سأقوم بالتناول لوحدي وبعدها دفعت السرير ببطيء نحو النافذة واستطعت عندما صعدت عليه ان اكون بموازاة النافذة وفتحتها قليلاً ونظرت للحمامة من قرب كنت اتأمل عينيها كانت جميلة جداً بعدها اعطيتها القليل من الخبز وبدأت تأكل من يدي بكل براءة.

جعلت شيء داخلي ينبض كأن روحي بدأت بالعودة لكن ما ان احاول تذكر ما الذي حصل لي؟

اشعر بصداع شديد يجعلني اعود طريحة للفراش ولايزال الدكتور المجنون يتحدث معي بالإنجليزية ويعطيني حقن وادوية لا اقوى على ردعة ورفضها لان الممرضة كانت تمسكني واستمرت الايام بالتكرار حتى بيوض الحمامة افقسوا وبدأت اشاهد كيف تطعمهم امهم وتعتني بهم فحركوا شيء داخلي هنالك مشاهد متقطعة تأتي لي لوجه امرأة ووجه رجل !

واحاول تذكرهم من هم؟

فيعود الصداع لرأسي فأصرخ بشدة الى ان تم نقلي الى غرفة اخرى لا تحتوي على نافذة وكانت مظلمة.

كنت اشعر بالألم وانا افتقد ضوء القمر ونور الشمس والحمامة، كانت الظلمة لوحدها تدفعني افكر بالظلام وانسى هناك نور وجمال وبراءة!

في أحد الايام سمعت انفجار كبير قرب غرفتي وتداعى الجدران وحتى السقف اوشك على السقوط وظهر نور في الغرفة التي كانت مظلمة طويلاً كنت اسير بملابسي الفضفاضة البيضاء وشعري المتناثر فسمعت صوت صافرات الانذار واطلاق الرصاص!

كانت صوت الانفجار والرصاص غريب ومفاجئ لأني اعتدت ان لا اسمع مثل هذه الاصوات لكني سمعتها كأنها صرخة من شخص من أجلي لأستيقظ ولأتذكر من أنا!

وجدت المجندين والمجندات والاطباء والممرضات وعملاء ومترجمين منشغلين بالهروب كأن هناك قنبلة على وشك الانفجار! ومن بين المجاميع الهاربة تقدمت نحوي امرأة تبدو في الاربعينات من عمرها كانت عراقية وغطتني بعباءتها وقالت لي بنبرة حنونه: لنخرج بسرعة يا ابنتي!

فترددت بخطواتي فهمست بأذني انها الوسيلة الوحيدة لأنفاذك (مهند ارسلني لإخراجك!)

اسم: مهند جعل ذاكرتي تهتز فبدأت استذكر ملامح وجهه وبعدها بدأت تتسلل لذاكرتي صور وكلمات متفرقة لأشخاص واحداث كأنها حصلت لي!

فشعرت بصداع شديد واستمريت بالسير مع الامرأة التي اخذتني الى شاحنة كبيرة وطلبت من السائق ان يوصلني واعطته ورقة وقالت له:

أوصلها الى هناك واهتم بها بالطريق، وبعدها مسكتني من رأسي وقبلتني وقالت لي لابد انكِ عانيتِ كثيراً والان حان الوقت لتعيشي بسلام، لم اكن استطيع التفوه بأي جملة فتأثير الأدوية لايزال كنت اشعر اني ارتجف من لا شيء وهناك ألم في جسدي وصداع شديد برأسي.

انطلقت الشاحنة مسرعة وقال السائق: لابد ان اسير بسرعة قبل أن يلاحظنا الامريكان لحسن الحظ انهم مشغولون بجماعتهم من القتلى والجرحى.

فتزايد الفضول داخلي لأعرف ماذا حصل؟ اين كنت بالضبط؟

كنت أتألم داخلي كثيراً وانا استرجع ذكرياتي ، كان ألم شديد لدرجة لا توصف !.

- 9 -

«وصلنا الى المكان المنشود وانتهت مهمتي يا حلوتي والان ترجلي من الشاحنة وخذي هذا الرقم واتصلي به وقولي لهم انك اسراء من طرف مهند وسيأتي من يساعدك»

هذا ما قاله لي ذلك السائق السكير الذي طول الطريق كان يشغل اغاني فيروز وكأنه يعيش في عالم وردي هادئ بعكسي اعاني من حرب داخليه ما بين ذكرياتي حول هويتي وما تحمله لي الساعات المقبلة فلا أعلم اين انا واين سأذهب بل ماذا يحصل بحق الجحيم؟

ومن هو مهند؟

نزلت من الشاحنة وكان المكان الذي انا به حالياً عبارة عن قرية صغيرة والبيوت من طين والناس بسطاء فوقفت قرب شجرة نخيل لأحتمي بظلها وانا لا اعلم هل اتصل بهذا الرقم الغريب كما قال لي السائق؟

ام احاول اطلب المساعدة من الناس حولي؟

ولكن لا املك ذكريات كافية لأين سأتوجه عندما اطلب مساعدتهم؟اين كنت اعيش؟

ارى ذكريات حول امي واخي وابي ونحن نعيش في بيتنا وسعداء ولكن اين؟ متى؟ واين هم الان؟

بدأت اشعر بالعطش الشديد والجوع وانا في حالة لا املك اي اموال لشراء اي شيء حتى ملابسي غريبة البيضاء الفضفاضة كأني كنت في مستشفى!

سأتصل بهذا الرقم وأرى ماذا سيحصل لكن من اين سأحصل على الهاتف؟

كانت أسراء تشعر باليأس والجوع والعطش فجلست قرب النخلة وكأنها ستفقد وعيها بأي لحظة، حتى أقترب منها ذلك الولد الصغير بدا في العاشرة من عمره وسألها ان كانت تملك اي مال؟

فنظرت له فوجدته لا يختلف عنها كان فقير وعلامات الجوع والبؤس واضحة عليه وكان نحيل فابتسمت له وقلت له: انا نفسك احتاج مال وطعام وماء!

فقال لها: سأدلكِ على شخص يساعدك ولكن بشرط

ابتسمت له وقالت: ما هو الشرط؟

فقال لها: عندما يعطيك اي شيء نتقاسمه معاً

فقالت له: موافقة لكن لماذا لا تطلب منه انت كذلك؟

فقال لها: انه لا يقبل ان يعطيني يقول اني كاذب وابي يملك اموال كثيرة

استغربت اسراء لكنها كانت شديدة الجوع فقالت له: ما اسمك؟

قال لها: اسمي خليل

قالت له: خليل سأتقاسم معك اي شيء احصل عليه،

فأخذها الى السوق الذي كان مليء بالناس والمحلات الشعبية كانوا

ينظرون لها باستغراب فقد كانت تبدوا غير طبيعية بملابسها التي كانت مخصصة للمستشفى كما كانت حافية القدمين،

وقف خليل واشار بيده الى احد المحلات التي تبيع مواد غذائية وقال لإسراء هناك رجل سيساعدها بلا مقابل فذهبت أسراء مباشرة الى المحل وما ان وجدت امامها الفاكهة والخضار أخذت مباشرة تأكلها من غير ان تلتفت الى صاحب المحل الذي اخبرها خليل عنه فجاء الرجل ووقف قربها وقال: يبدو انك جائعة جداً؟

التفت له اسراء وبدأت تتراجع واخذت باقة من الملفوف وقالت له انا احتاج هذا وحاولت الهرب فأسرع الرجل ووقف امامها وقال لها:

- لا حاجة ان تهربي تفضلي وسأعطيك ما تحتاجين

كانت اسراء تشعر بالخوف من هذا الرجل والخجل لكنه كان كبير بالسن وحاول ان يعاملها بطيبة ويشعرها انه موافق على ما اكلته بل يعرض لها المزيد،

دخلت الى المحل وقدم لها اللحم المشوي وبعض المقبلات التي كانت تنظر لها كأنها تشاهدها لأول مرة واخذت تأكل سريعاً فضحك الرجل وقال لها ان لا تسرع وتتمهل بعدها انشغل مع الزبائن وعندما انتهت اسراء طلبت من الرجل ان يعطيها المزيد من الطعام فقال لها الرجل: الم تشبعي؟

ارادت ان تخبره انه ليس لها وانما لخليل فتذكرت ان خليل طلب منها ان لا تخبر الرجل عنه كونه لا يرضى بمساعدته، فبقيت صامته وكانت مترددة بنظراتها وحركاتها فتأثير الادوية عليها كان لايزال كما انها كانت

تشعر بالضياع فلا تعرف من هي لتعرف نفسها لهذا الرجل، الذي بدأ يشعر بالملل لتكراره الاسئلة لها وهي لا تجيب فقرر اعطاءها المزيد من الطعام واعطته الى خليل فأخذ يأكل بسرعة وكان سعيد جداً، بدا ايضاً انه يعاني من تدهور في الغذاء وكأنه لم يتناول شيء منذ مدة طويلة فسألته أسراء هل يملك بيت ليعيش فيه؟

فقال لها: نعم املك بيت لكن لا يسمح لي ان اعود اليه الا عندما اجني اموال كافيه

فاستغربت اسراء وقالت له ان يفهمها لماذا الرجل صاحب المحل يرفض مساعدته بحجة ان ابية يملك اموال وهو الان يقول لا يمكن ان يعود الى البيت الا عندما يملك اموال كافية!

فأخبرها خليل ان والده رجل عصبي وشديد ولا يحبه ويجبره على السرقة او التسول ليحصل على اموال بالرغم من ان ابيه يملك اموال كافيه!

فشعرت اسراء بالشفقة على خليل وتساءلت عن السبب فقال لها خليل ان ابيه يكرهه

تأملت اسراء وجه خليل فكانت هناك علامات ضرب وهناك اثار كدمات واضحة فشعر خليل بالتوتر لأنها تنظر اليه وسألها:

- ماذا عنك؟ لماذا تبدين كالمجنونة؟ اين بيتكم؟

فضحكت اسراء وقالت له: لست مجنونه بل اشعر بالضياع

خليل: ضياع؟ هل تم اختطافك وهربتي منهم؟

اسراء: لا بل شيء اسوء من ذلك لا استطيع اخبارك التفاصيل لكن اريدك ان تساعدني

خليل: ماذا تريدي؟

قالت له انها تحتاج هاتف لتتصل بشخص قد يساعدها خليل بالحماس وايضاً اشترط عليها ان ساعدوها ان تعطيه النصف سواء مال او غذاء، فوافقت فقال لها:

- لكي اساعدك يجب ان اتسلل لبيتنا واسرق لك هاتف والدي وتتصلي به، بالرغم من الفكرة كانت سيئة الا ان اسراء وافقت لأنها محتاجة

ان تعرف الاشخاص الذين تملك رقمهم عسى يستطيعوا ان يساعدوها فبقيت تنتظر خليل ليعود وفعلاً بعد عشرون دقيقة جاء لها وهو يملك الهاتف المحمول فأخذت تدخل الرقم وتتصل لكن الرقم كان خارج نطاق التغطية فقال لها خليل ان تسرع بالمحاولة مرة اخرى لأنه يريد ان يرجع الهاتف قبل ان يشعر والده.

وبقيت تتصل أسراء فلم يجيبها احد فأخذ خليل الهاتف وحذف سجل المكالمات الصادرة واعتذر من اسراء انه يجب ان يرجعه،

فبقيت أسراء تتجول في السوق كالمتسولة حتى امسى الليل وبدأت المحلات بالأغلاق فقررت تذهب للمحل الذي ساعدها بوجبة الطعام عسى يوافق ان تبيت هناك لكنه كان مغلق، فجلست قرب بابه وغطت في النوم واستيقظت على صوت خليل يناديها فوجدته يلف ذراعه كأنه مكسورة فسألته عن السبب لكنه اخبرها مباشرة ان الرقم الذي كانت تتصل عليه لقد اتصل على هاتف والده وتكلموا معه واخبروه انها تملك اموال كثيرة عندهم، شخص ما قام بوضعها عندهم وهم يرغبون في تسليمك اياها

فعندما اغلق والد خليل الهاتف واخبر زوجته عن المتصل شعر خليل بالسعادة كونهم اعادوا الاتصال وسيساعدون اسراء فأعترف لوالده ان الفتاة التي تكلموا عنها انه يعرفها واخذ هاتفه لها قبل ساعتين واتصلت عليهم لكنهم لم يردوا والان اتصلوا فشعر والده بالغضب الشديد لأنه سرق هاتف فضربه وكسر ذراعة وطلب منه ان لا يعود للبيت إلا ومعه هذه الفتاة،

لم تشعر اسراء بالسعادة لان الاشخاص اعادوا الاتصال وسيعطونها الاموال وانما كانت متشوقة لتكلمهم وتستفسر اكثر عن مهند ولعلها تسترجع ذاكرتها وتتخلص من الكوابيس والذكريات المتقطعة التي تراود ذهنها بين فترة واخرى.

وكانت ايضاً تشعر بالشفقة على خليل كونه تعرض لكسر اليد بسببها فكانت تريد مقابلة والده وتخبره لماذا يعامل ابنه بكراهية شديدة؟

يطرده من البيت ويجبره ان يسرق ويتسول ويكسر يده!

وذهبت مع خليل وهي خائفة من مقابلة هذا الاب الصارم وما ان وصلا استقبلها والد خليل بترحيب شديد حتى استغربت زوجته وابنه خليل من الطيبة التي اظهرها لأسراء فعرفت اسراء نفسها بحذر واستأذنت باستعمال الهاتف فأعطاها والد خليل وقال لها اتمنى ان تراعي ان سعر بطاقة رصيد الهاتف غاليه هذهِ الايام، كان يحاول ان يخبرها ان تستعمل الهاتف مقابل المال ففهمت اسراء وحاولت توضح له انها ستدفع له فبدأت بالكلام عبر الهاتف فكان المتصل رجل سألها:

- هل انتِ اسراء؟ مهند اعطاني امانه اوصلها لك.

فقالت له اسراء: هل من الممكن نتقابل في مكان ما ونتحدث بالتفصيل حول مهند؟

قال لها الرجل: انا اسف لا يمكنني السفر الى المكان الذي انتِ به فقط اخبرني اي مكان تتواجدي وسأرسل الامانة بيد شخص ثقة.

كررت اسراء سؤالها: أتمنى ان تفهمني انا ارغب بمعرفة صلتك بمهند ومن هو مهند وكيف يعرفني؟

وماذا تعرف عني؟ ولا اهتم بالأموال.

فقال لها الرجل: اخبرني اين انتِ؟ ايصال الأمانة هو الشيء الوحيد الذي مهتم به حالياً!

فبدأت اسراء بالبكاء والتوسل بالرجل حتى يخبرها حول مهند اكثر فلاحظ والد خليل انها غير مهتمة بالمال فسحب الهاتف منها وبدأ يتكلم مع الرجل واخبره ان اسراء بأمان معه وفي ضيافته وتعيش كأبنته، وأخبره كذلك انه رجل فقير ومحتاج مصاريف لها فأتفق معه ان يرسل لها الاموال الى داره وهو مسؤول عنها فوافق والد خليل، الذي اغلق الهاتف وطلب من زوجته ان تهتم بأسراء جيداً وتجعلها تستحم وتغير ثيابها وان توفر لها سرير والطعام المناسب.

وفي الصباح وصل لهم رجل بسيارة فاخرة وخرج له والد خليل وحصلت مشادة كلامية بينهم فجاء خليل ينادي اسراء ان هناك رجل يتشاجر مع والده بسببها، فخرجت اسراء مسرعة اليه فتوجه الرجل نحوها وقال:

- واخيراً جئتِ انا مكلف بإعطاء هذهِ الحقيبة لك يداً بيد!

واقترب منهم والد خليل متذمراً وهو يقول:

- آنها تحت ضيافتي وكأبنتي لا فرق ان تسلمها لي او لها اليس كذلك يا اسراء؟

كانت اسراء غير مهتمة بالحقيبة وما تحتوي به وانما بهذا الرجل الذي اوصل لها الأمانة هل هو من كانت تتحدث معه بالهاتف؟ هل هو من يعرف مهند؟ فبدأت تسأله لكنه اخبرها انه مجرد سائق طلب منه ان يوصل لها الحقيبة ولا يعرف اي شيء عنها، فشعرت بالضجر وذهبت الى الغرفة التي تم تخصيصها اليها وغلقت الباب.

بالمقابل كان والد خليل الجشع يطرق الباب ويصيح اليها ان تعطيه من الاموال ففتحت الحقيبة ووجدت مبلغ مالي حوالي $1000دولار فأخذت نصفها وخرجت لوالد خليل اعطتها اياه وقالت له انها مقابل بقاءها عندهم الى ان تجد لها عمل او مأوى او اي مكان اخر بعد شهر لأنها حالياً تحتاج تبقى معهم فوافق والد خليل وبدأ بالاستفسار هل فقط هذه الاموال ام هناك المزيد؟ وان الحقيبة كبيرة هل تحتوي فقط هذا المبلغ؟

فذهبت اسراء وفتحت الحقيبة فوجدت انها تحتوي على مذكرات وصور وملابس وبعض المستندات والاوراق، اخذت تنظر للصور فإذا كأن صاعقة تضرب رأسها وانفجرت باكية،

طلب والد خليل من زوجته ان تذهب الى اسراء وتحاول ان تعتني بها وتستمع لها وتفهم منها من هي وماذا جري لها؟

فدخلت لها وجدتها مستلقية على الارض وتبكي فجلست قربها وقالت لها:

- لا اعلم ما الذي يجري لك ومن انتِ؟ لكنك بمثل ابنتي فاطمة، انها مصابه بمرض السرطان وحالتها خطيرة وابيها بخيل جداً بصرف اموال العلاج الكامل لها وتتعذب يومياً وانا لا احب اراك تبكين، كوني قوية وانهضي! لأعرفكِ على فاطمة..

بقيت اسراء تبكي بحرقة حيث في الصور كانت لعائلتها ومجرد ان نظرت لهم تذكرتهم لأنها فقدت الذاكرة بصورة مؤقته بسبب الادوية التي تم تخديرها بها وكانت بين فترة واخرى تجد خيالات لامرأة وطفل صغير مقتولين وكثير ما تشاهدهم في كوابيسها، وما ان رأت الصور عرفت ان المرأة المقتولة تكون امها التي قتلها الارهاب والطفل هو اخوها عمر الذي قتله الاحتلال الامريكي اما والدها فقتلته الميليشيات!

اما مهند ضحى بنفسه من اجلها وبقيت تتذكر كيف ادخلوها الامريكان الى المستشفى وعذبوها وحاولوا جعلها تفقد عقلها بالأدوية والصعق الكهربائي والانعزال الانفرادي لأيام حتى فقدت ذاكرتها.

ـ 10 ـ

مضى على وجود اسراء في بيت خليل اكثر من ثلاثة ايام كانت خلالها مصابة بالكأبة ولا ترغب بالتحدث ولا حتى أكل الطعام فهي الان تتذكر ما حصل وانها الان وحيده، حتى الرجل الذي كانت تحبه وتعتبره كسند لها الان غير موجود، كانت لا تتقبل فكرة انه ضحى بحياته من اجلها ولا تستطيع ان تفكر انها لا لن تكلمه مره اخرى كانت تشعر بمشاعر متناقضة ممزوجة ما بين الرغبة بالانتقام من الارهاب والاحتلال والميليشيات واحياناً تفكر بالخلاص وتتمنى لو تستطيع ان تقتل نفسها وتفارق هذا العالم.

كان خليل وامه يحاولون أن يخرجوها من دائرة الكأبة ولكنها كانت كالجثة لا تتفاعل معهم، مع الاشهر تم اعلان سحب قوات الاحتلال من شوارع ومدن العراق مع بقاء قواعدهم بحجة تدريب القوات العراقية، سمعت اسراء بالخبر وشعرت انها الان لا تعتبر ملاحقة من قبلهم واصبحت اكثر أمان فهي كانت محتجزة عندهم واليوم الذي تم اقتحام مقرهم وقتل العشرات منهم اختفت منهم فكانوا يعتبروها جزء من عملية الاقتحام والارهاب.

خرجت اسراء من غرفتها وذهبت الى ام خليل لكي تساعدها في

المطبخ واستفسرت منها عن ابنتها فاطمة وابدت الرغبة في مقابلتها، فرحت والدة خليل كثيراً وقالت لها:

- ابنتي ايضاً تشعر بالاكتئاب وجود فتاة نفسك تصادقها ممكن يساعدها مما هي فيه..

فأخذت اسراء الغداء وذهبت الى غرفة فاطمة لتقدمة اليها فوجدتها مريضة جداً ولا تقوى حتى على الكلام، خرجت اسراء مسرعة الى ام خليل واخبرتها عن حالة فاطمة فقالت لها:

- انها بحاجة الى العلاج ولا نملك اموال كافية

فذهبت اسراء الى غرفتها واخرجت ما تبقى لها من اموال وعرضتهم على ام اسراء وقالت لها لنشتري لها العلاج الان، فقالت لها ام خليل:

- انها بحاجة للسفر الى المدينة، علاجها عبارة عن جرعات كيمياوية ونحتاج ابيها ليوصلنا ولكن؟

فاستفسرت: هل ابيها يعرف بحالتها ام لا؟

اشارت والدة خليل برأسها وقالت لأسراء: عزيزتي احتفظي بأموالك وانا اليوم سأكلم ابيها بضرورة الاسراع وعلاجها لأنها تتعذب طوال اليوم.

شعرت اسراء هناك شيء ما خطأ لماذا الاب لا يعرف شيء عن حالة ابنته؟

ولماذا الام مترددة ولم تخبره مسبقاً؟ يوجد شيء غريب لا تريد الافصاح عنه!

ذهبت اسراء الى فاطمة وحاولت ان تسحب منها الكلام وتعرف اكثر عما يجري ومنذ متى تعاني من السرطان؟ ومتى اخر مره زارت الطبيب؟

لكن فاطمة من علمت ان امها ستتكلم مع ابيها اليوم عن حالتها وتطلب منه اخذها الى الطبيب، انفعلت واخبرت اسراء ان تمنع امها من التحدث الى ابيها،

لم تفهم اسراء ما يجري خرجت من الغرفة وسمعت اصوات صراخ وتكسير، ذهبت الى المطبخ كان والد خليل يضرب زوجته، حاولت اسراء ان تتدخل لكنها شعرت انها تحتاج ان تفهم ما يجري قبل ان تتدخل في مشاكلهم الشخصية!

فذهبت الى خليل واخبرته ان يشرح لها ما يجري؟

فقال لها ان ابيه يعتبر فاطمة ميته لا محال ولا يريد ان يصرف الاموال لعلاجها كونه بخيل وحتى الاموال التي يتم التبرع لها من اجل علاج فاطمة يقوم بسرقتها واحياناً يستغل حالة فاطمة ليقوم بجمع المال من الناس الذين يشعرون بالشفقة عليها بحجة انه يعالجها!

شعرت اسراء بالغضب الشديد وقالت لخليل انها لن تسكت وسوف تتكلم مع ابيه اليوم عسى ولعل يتغير فحالة فاطمة خطيرة لكن خليل نصحها ان لا تتدخل! سواء تكلمت او لا لن يحصل اي تغير! فقط ستضر نفسها وتتعرض للأذى!.

لكن اسراء لم تستمع اليه وذهبت وتكلمت معه وبدأ بالصياح عليها وهددها لو تدخلت بمشاكلهم العائلية سيجعلها تنام بالشارع ولن يستضيفها مجدداً!

تركته اسراء ودخلت غرفتها وهي مصدومة كيف يهدد بطردها وهي دفعت له اموال كثيرة ولماذا يتصرف بصورة عديمة المسؤولية تجاه ابنته

ولماذا يضرب زوجته ويجبر ابنه الصغير على التسول ويضربه لو عاد للبيت من غير جمع اموال؟

حاولت ان تفكر بنفسها وتخرج من البيت وتجد مأوى اخر ففكرت هل من الممكن تعود وتدرس في كلية الطب؟

فهي قبل قتل امها كانت طالبة مرحلة اولى، لم تكن اسراء تستطيع ان تفكر بحياتها وتتعايش مع ماضيها.

كانت فاطمة تتألم كل يوم وبكاءها يمنع اسراء من النوم، فكانت اسراء تشعر كأنها تتمزق غضباً كون هناك فتاة تحتضر قربها ولا يمكن مساعدتها بسبب تسلط والدها الذي يسرق اموال علاجها وكان ايضاً دائماً يضرب زوجته وابنه!

مضى على الحال اسبوعان حتى اشتدت حالة فاطمة فذهبت الام تواجه الاب بضرورة علاجها وحصلت مشاكل مرة اخرى، كانت اسراء تراقب ما يجري وتشعر بصداع شديد برأسها وغضب حول والد خليل،

وحصل هناك ترابط ما بين الارهاب الذي قتل امها والامريكي الذي قتل اخيها وهذا الرجل الذي يمارس العنف تجاه اسرته يومياً، فتصاعد عندها الغضب لدرجة فقدت السيطرة على نفسها وجاءت لها الحالة التي تفصلها عن الواقع وذهبت للمطبخ واخذت السكين وتوجهت نحو الصالة التي كان يجلس بها والد خليل يقرأ جريدة وقتلته بكل برود، ومجرد ان سقط بالأرض ودماءه ملئت الارض تذكرت دماء امها واخيها وابيها فشعرت انها الان هي الارهابية والشريرة وجثته كأنها تتكلم وتخبرها انتِ قاتلة!

فبدأت اسراء بالصراخ فجاءت ام خليل لترى ما حصل وكانت الصدمة

انها قتلت زوجها!! فبدأت بالصراخ ونادت الجيران وقالت لهم هذه المجنونة قتلت زوجي!

اسراء كانت تعتقد ان ما قامت به سيساعد فاطمة وخليل ولكنها الان تعتبر مجرمة فربطها لمشاكلها وصدماتها النفسية التي عاشتهم مع مشاكل هذه الاسرة كان خطأ، فحاولت الهرب وهي تصرخ وتمسك رأسها الذي يكاد ينفجر من الصداع لكن الشرطة القت القبض عليها وتم احتجازها.

كانت اسراء تؤنب نفسها وتتمنى ان يتم اعدامها وتختفي، أما عائلة خليل تغيرت حياتهم نحو الافضل فالأموال التي كان يكتنزها والدهم كانت كثيرة وقاموا بإرسال فاطمة للعلاج وتغيرت احوالهم كثيراً وحتى خليل التحق بالمدرسة فلم يكن مجبور بعد الان ليقضي النهار بالتسول وبعد سنه زارت والدة خليل اسراء بالسجن وقالت لها:

- بالرغم مما فعلتيه كان أجرام ولكن حياتنا تغيرت للأفضل، وفاطمة تعالجت وهي مقبلة على الزواج وطلبت مني ان ازورك هنا واجلب لك بعض الاغراض منها امور تخصك كالحقيبة التي جلبتها معك،

اتمنى ان تتعدل حياتك انتِ ايضاً وان يتم الافراج عنك، أنا تكلمت مع الشرطة وتنازلت عن القضية لكن اخوان زوجي حاولوا ربط الجريمة معي وقالوا انا حرضتكِ على زوجي لهذا انسحبت نهائياً عنك.

كانت اسراء فقط تنظر اليها ولم تتفوه بشيء لأنها بداخلها لم تسامح نفسها عما فعلته فقتل شخص ما لم يكن بالشيء السهل ولاتزال تجد شبح والد خليل يلاحقها!

بل كانت تجد نفسها في كوابيس اخرى هي من قتلت امها وابيها واخيها، كانت تعيش حالة صعبة وفي غرفة مظلمة صغيرة داخل السجن.

بعد مضي ثلاثة سنوات لها داخل السجن كانت الايام بالنسبة لها متشابهة وبطيئة وفقدت خلالهم رغبتها بالكلام او التفاعل مع اي شيء حتى القمر عندما كان يضيء كانت تتأمل نورة قرب نافذتها وتتكلم معه لكنها فقدت الرغبة بالحديث مع اي شيء حتى ذاكرتها بدأت بالنسيان عدا الاحداث المؤلمة الكبيرة كمقتل مهند وامها وابيها واخيها لم تستطع نسيانهم كذلك الرجل الذي قتلته لاتزال تتذكر ما حصل وتؤنب نفسها واسترجعت قدرتها بعدم السماع لأصوات الانفجارات والبنادق فكثير ماكنت تحصل مواجهات قرب السجن لم تكن تشعر بها حتى حصل ذلك اليوم وتم سيطرة تنظيم داعش على المدينة واعلانها عاصمة للخلافة وكانوا يقتلون القوات الامنية ويقتحمون السجون ويخرجون النزلاء ومن ضمنهم كان السجن الذي فيه اسراء، كانت اسراء مندهشة لان الباب انفتح لها وظهر رجل ذو لحية طويلة ذو ملامح تونسية وصرخ عليها البسي حجابك وتحضري للخروج!

كان هناك ضجة كبيرة داخل السجن ولم تكن اسراء تفهم ما يجري فقامت وخرجت من السجن مع بقية النزلاء من غير ان تغطي شعرها فقام احد جنود داعش بالصياح عليها: تغطي يا بنت!

فقامت احد النساء قربها بوضع حجاب على رأسها، استمرت اسراء بالسير حتى خرجت من بوابة السجن ولكن كان هناك ضجة وألسنه اللهب تتصاعد والناس تتراكض ففهمت ان هناك طائرة تقوم بالقصف وانها لم تسمعها!

فوقفت وحاولت استيعاب فكرة ان هناك انفجارات تحصل وهي لا تستمع اليها فبدأت بالضحك بهستيرية كالمجنونة وذهبت تركض هنا وهناك كأنها تملك الارض ومع الايام بدأ تنظيم داعش بتهجير الناس من الديانة المسيحية واخذ بيوتهم فلاحظت اسراء مشادة كلامية بين احد الامهات المسيحيات مع زمرة من جنود داعش والذين كانوا يهددوها ان لم تخرج من البيت بعد ساعة سيفجرونه وهي بداخلة وكانت ترفض الخروج او دفع لهم ما يعرف بالجزية وتقول لهم هذا بيتي قبل لا ان تولدوا فبأي حق اتركه لكم؟!

فجلست اسراء من بعيد تراقب ما يحصل حتى لاحظتهم فعلاً بدأوا بوضع المتفجرات داخل البيت لتفجيره وكانت المرأة تتوسل بهم فتحركت اسراء نحوهم وصرخت بصوت عالي: توقفوا!

فصاح احد جنود داعش بلهجته الشامية: ان لم تبتعدي بنفجر راسكي!

لكن اسراء بقيت داخل البيت وتدفع برجال داعش للخارج حتى احدهم من غضبة عليها اطلق عليها النار!

نعم اطلق عليها النار ولكن المفاجأة الغريبة ان اسراء لم يحصل لها شيء والرصاصة لم تخترق جسدها!

ذهب الجنود بعيداً وهم يتهامسون عن الموقف الغريب الذي حصل امامهم!

- اختفت الرصاصة؟
- هذه البنت شيطان؟
- هو انت اطلقت عليها النار؟ اطلق من جديد وخلي نخلص من هذهِ الفاجرة

كذلك السيدة المسيحية استغربت كون أسراء لم تتأثر بالرصاص وقالت لها:

- يبدو انتِ فتاة مباركة..انتِ معجزة، شكراً لوقوفك معي لكن كما تلاحظي المتفجرات بكل مكان سيفجرون البيت في اي لحظة!

انا مجبورة ان اغادر وسأترك الرب لينتقم لي منهم وانتِ يجب ان تغادري من البيت كذلك.

لكن اسراء رفضت وبقيت داخل البيت وبعد ساعات قام جنود داعش بتفجير البيت وهي داخلة والمعجزة التي اذهلت الجميع وجعلتهم يشعرون بالخوف الشديد هي خروج اسراء سليمة ولم تتضرر بالانفجار الذي نسف البيت!

كانت اسراء تمشي بهدوء والجميع ينظر لها بخوف واستغراب وحتى حاولوا قتلها بإطلاق الرصاص عليها مرة اخرى ولكن في كل مرة كان يحصل هناك كالحاجز الذي يصد طلقاتهم مما جعلهم يصفوها بالشيطانة وغيرها من الاوصاف،

ووضعوا قانون بانه ممنوع احد من الناس ان يساعدها او يكلمها او يأويها الى بيته وكانوا يتدارسون فيما بينهم حول كيفية التخلص منها.

- 11 -

«الله يستر عليك ويحفظك من كل شر وينور دربك بنيتي»

هذا ما قالته لي العجوز التي قابلتها قرب البقايا المهدمة لجامع النبي يونس حيث اتخذت لها موقعاً من الحطام وكانت تفرش لنفسها سجادة تصلي بها وتنام بها ولم تكن تملك شيء عدا كيس تحمل فيه كوب متحطم تقول انه لابنها احمد عندما كان طفل يحب ان يشرب به الشاي مع قماش ابيض ممزق الذي احضره لها ابنها ياسين عندما ذهب للحج وكانت تملك ضفيرة شعر صغيرة تقول انها لأبنتها مع بقايا قليله من الخبز اليابس الذي قدمت معظمة لي كوجبة.

كانت تلك العجوز التي قابلتها تلك الليلة على وشك الموت فقدميها كانوا يحملون جروح تمنعها من السير لمسافات طويلة وكانت تعاني من امراض تنفسية تمنعها من التنفس جيداً اما السعال فلم تكن تستطيع اكمال خمس جمل الا وأخذتها موجة السعال كانت ترتدي عباية سوداء ممزقة وملابس لا تدفئها لكني لم اكن اشفق عليها لأنها بلا مأوى وانها مريضة ووحيدة ومشردة ولم اسألها حتى عن عائلتها وابناءها اين هم؟ ولماذا لا يعتنون بها؟

كنت اجلس امامها فحسب وكانت تمسح بوجهي وتدعو لي وتصفني

بالبنت الجميلة كنت اشعر بشيء غريب لم يسبق لي ان شعرت بمثلة منذ مدة طويلة فقد اعتدت ان يدعو علي بالموت وهلاك ويصفوني بأبشع الأوصاف البذيئة التي لم اكن اعير لها انتباه ألا عندما وصفتني العجوز بالبنت المباركة، الطيبة فقد كانت كلماتها تستقر بقلبي لدرجة ارفض ان اوصف بالعاهرة او المشعوذة او العميلة بعد الان وقررت ان لا اصمت لكني لا ازال ضائعة ولا اعرف من انا؟

في تلك الليلة التي قابلت المرأة العجوز كان جنود داعش يحيطون بها ويهددوها بالقتل ان استمرت بالبقاء قرب ركام جامع النبي يونس (يعد جامع النبي يونس من الجوامع الكبيرة في مدينة الموصل قامت داعش بتفجيره عام 2014 عندما دخلوا المدينة).

فتوجهت نحوهم فابتعدوا عن العجوز ووجهوا اسلحتهم تجاهي فاستمريت بالسير الى ان جلست قرب هذهِ المرأة العجوز فابتعدوا وهم يهددون العجوز ان بقيت ليله اخرى هنا سيقتلونها اما انا كالعادة وصفوني بالفاجرة وبنت الشيطان فانصرفوا بقيت تلك الليلة مع العجوز ونمت قربها وعندما جلست من النوم بقيت انتظرها لتفيق لكنها لم تتحرك تحسست دقات قلبها فوجدتها قد فارقت الحياة!

ـ 12 ـ

بعد ان يأس تنظيم داعش في قتل اسراء حاولوا تسميمها ولكنهم ايضاً فشلوا لأن وبطريقة ما الطعام او الشراب الذي يحتوي على سم كانت ترفض تناوله حتى لو كانت شديدة الجوع، كانت تستطيع السير في اي مكان داخل احياء المدينة كأنها حمامة تطير من مكان الى مكان وبالرغم من فرض قانون ممنوع ان يتعامل معها اي شخص إلا ان هناك ناس كانوا يساعدوها بالخفاء ويعطوها الطعام والملابس ويبتسمون لها كونها تشكل قوة تجاه هذا التنظيم الارهابي الذي احتل مدينتهم وفرض عليهم قوانين لا تتوافق مع طبيعة حياتهم ومستواهم الثقافي.

وفي احد الايام قرر تنظيم داعش يمارسون اسلوب مختلف مع اسراء حيث ارسلوا لها كتيبة من نساء الحسبة الذين اغلبهن كانوا من جنسيات اجنبية وعربية ممن هاجروا وانظموا للتنظيم، كانت الغاية منهن يحاولون ان يؤثروا على اسراء لتبايع خليفتهم وتكون جزء منهن فهي قوية وتبدوا كالمعجزة التي عجزوا ان يفسروها فانضمامها لهم وتدريبها يجعل منها سلاح مهم لاسيما في عملياتهم الانتحارية، طلبن منها ان تأتي معهن فوافق اسراء وركبت معهم في السيارة.

اثناء ذلك احد الداعشيات كانت تسمى ام عبد الرحمن الجزائري

حاولت ان تتقرب منها فمدحت شعر اسراء وقالت لها شعرك جميل، من المؤسف ان تظهيره للرجال وتكوني كالسلعة الرخيصة ما رأيكِ ترتدي الحجاب، فوافقت اسراء واخذت منها الحجاب وارتدته، وكانت اسراء تبتسم لهن فقد كانت لا تنتظر لهؤلاء النساء انهن كالمجرمات لان اسراء حالياً لا تفرق بين الخير والشر ولا بين رجل او امرأة كانت غريبة في تفكيرها ونظراتها وكل شيء تشعر بالضياع!

بعدها حاولت ام عبدالرحمن الجزائري ان تتقرب اكثر من اسراء وبدأت بسؤالها عن ديانتها فلم تجيبها اسراء بالرغم من تكرار هذا السؤال أكثر من مرة، بعدها سألتها من هم عائلتك؟

اين يسكنون؟ كم عمرك؟

لم تتفوه اسراء بحرف واحد لتعريف عن نفسها وكانت تصرف نظرها الى الشارع والسماء وتشير بأصبعها متفاعله مع الناس بخارج السيارة وتتجاهل ام عبدالرحمن!

عندما وصلن الى البيت الذي كان مقرر ان يستضيفوها به رفضت اسراء الدخول به، ولأنهم كانوا يحاولن كسبها الى جانبهن لم يضغطوا عليها وانما اخبروها:

- أذن اين تريدي ان نتناول العشاء؟

فقالت لهن: اريد الذهاب قرب نهر دجلة

وفعلاً تم اخذها هناك وترتيب لها افضل مكان ليجلسن معها امام النهر بالرغم من الجو البارد، حاولوا أن يتكلمن امامها حول شجاعة جنودهم وكيف تمكنوا من السيطرة على اجزاء كبيرة من العراق وسوريا وبدأت

مبايعة خليفتهم بأماكن مختلفة من العالم ثم عرضوا عليها انها لو انضمت لهن ستكون قائدة لجزء كبير من خلافتهم التي ستتمدد وتبقى! لكن اسراء طوال كلامهن كانت تنصت اليهن وتشير برأسها بالرفض كأنها طفلة!

وبعد مرور ساعة من محاولاتهم نطقت اسراء اخيراً وقالت لهن:

- ارى انكم تسيرون نحو نفق مسدود وترسمون أحلامكم على تراب قرب دجلة، وموجات دجلة تقترب وتخرب عليكم احلامكم.

شعروا بالغضب من كلامها وتصرفاتها فاتصلوا بأحد قادتهم وبلغوه لم يفلح معها اي شيء، فقال لهم لتنفذوا خطة « ب « التي كانت ان يضعوا الاصفاد على يدها ورجلها ويأخذوها الى مكان مغلق ويغطون وجهها بعد ساعات تم احضار امامها كاميرا ووقف رجل داعشي يمسك بورقة وقال لهم:

- لنبدأ التصوير شغلوا الكاميرا!

وبدأ بتصوير اسراء وهو يقرأ خطاب منه انه يعلن للعالم والكافرين ان اساليبهم فاشلة لوقف تقدم الخلافة الاسلامية ومنها مشروعهم بأرسال فتاة مثل اسراء!

وانهم يعلنون بألقاء القبض عليها وانها لن تستطيع ان تفعل اي شيء ضد جنود الخلافة وسيستمرون بالتمدد!

بعد التصوير استطاعت اسراء بقوة ان تكسر الاصفاد من يديها ورفعت الغطاء عن وجهها ونظرت الى الرجل الذين كان يلقى الخطاب وقالت له:

- انا سأذهب لا استطيع البقاء واكمال التصوير!

فشعر الرجل الداعشي بالغضب الشديد من استهزاء اسراء وكالعادة

حاول يطعنها لكنه لم يستطع، بعدها قاموا بأرفاق صور وفيديوهات لهم وهم يحاولون قتل اسراء وكيف تظهر اسراء من بعد الانفجار وهي سليمة!

وقاموا بعدها بوضع كلمات اخر الفيديو انهم تمكنوا من السيطرة عليها واحتجازها للأبد وستفشل كل المحاولات الكافرة وقاموا بنشر اصدارهم في مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان: تم القاء القبض على العميلة الكافرة!

وهذا الاصدار قد انتشر وترجم الى لغات مختلفة والجميع شعر بالدهشة من اسراء وظهرت مقالات عديدة عليها وكانت التفسيرات والتحليلات متناقضة فالبعض يقول انها مجرد لعبة من تنظيم داعش ليصرف الانظار عن جرائمه وانهزاماته فحاول تصوير وجود فتاة خالدة لا تموت على انها عميلة تم القاء القبض عليها!

اما البعض الاخر بدأ بالتفسير قد تكون فعلاً سلاحاً للاستخبارات الامريكية والاسرائيلية او الروسية!

والبعض الاخر اتجه لتفسير الديني والاخر لتفسير الميتافيزيقي!

الغرض من وضع اسراء للأعلام ليلاحظ تنظيم داعش رد فعل العالم تجاهها وتحليلاتهم عنها عسى يستطيعوا ان يعرفوا عنها شيء ولكن تم ذلك بوضعهم بصورة المسيطرين عما يجري والقوا القبض عليها!

كما تم تسريب معلومات من قبل طلبة كانت اسراء زميلة لهم في المدرسة وظهرت معلومات عن عمرها وعائلتها وانها عراقية ولم يسبق لها ان غادرت ارض العراق فهذا احبط التأويلات حولها بأنها عميلة.

والبعض الاخر ممن يعرف اسراء مثل جارتها ام مهيمن وام خليل

وغيرها اكتفوا بالصمت والتكتم عن معلوماتهم حول اسراء كونهم يشعرون بالشفقة عليها والخوف مما تحولت اليه!

فظهور اسراء للأعلام جعلها تشتهر بسرعة والجميع يتحدث عنها ويحاول ان يحصل معلومات اكثر عنها اما اسراء كانت لاتزال تتجول في احياء المدينة وتفشل محاولات التنظيم في احتواءها او تقيدها او قتلها!

في احد الايام كانت تشعر بالنعاس فذهبت الى داخل احد المساجد ونامت فأنصرف جميع المصلين عن هذا الجامع وتركوها عدا المؤذن القى عليها بطانية لتدفئتها وبعد ساعتين استيقظت وهي تشعر بالفزع فلاحظها المؤذن وقال لها:

- أ يعقل الفتاة الحديدية التي يخاف منها الجميع الان تشعر بالفزع؟

قالت اسراء: لقد لاحظت شيء سيحصل قريباً

فشعر الرجل بالاستغراب وقال لها ماذا سيحصل؟

قالت له: سيذهب هناك مجموعة من جنود داعش اغلبهم من ابناء هذا الحي الى مطار الموصل وستقصفهم الطائرة ويقتلون جميعاً وسيتم تشيعهم هنا بهذا الجامع

كان الرجل ينصت لها بحذر وقال: هل هذهِ احدا ألاعيبك لكي تخوفي الناس؟

قالت اسراء: اخوف الناس؟

قال لها: الى جانب كونك لا تموتين، تستطيعين معرفة المستقبل؟

لم تجيبه اسراء وقامت وخرجت مسرعة تحاول ان توقف احدا

السيارات لكي توصلها الى مطار الموصل لكن الجميع رفض ذلك، لكن المؤذن كان يراقبها من بعيد فذهب مسرعة واحضر سيارته وقال لها:

- اركبي بسرعة قبل لا يلاحظنا أحد!

دخلت اسراء السيارة وقالت له: هل تصدقني؟

قال لها: لا ولكن اريد ان ارى هل انتِ مهتمة بجنود داعش؟

وتريدين ان تنبهيهم قبل ان تقصفهم الطائرة؟

قالت اسراء: لا، لكن اريد ان اكون حاضرة هناك لسبب اخر

قال لها: ما هو؟

قالت له: لن تفهمني حتى لو اخبرتك، لكن انت اذا كنت تريد تنبهيهم فأفعل

فقال لها: هل تعتقدي اني مجنون؟

ضحكت اسراء وقالت: لماذا الست تصدقني؟

قال لها: أصدقك لكن عندما اخبرهم انصرفوا عن المطار لأنكم ستقصفكم الطائرة سيعتبرونني كاذب او سيسألونني كيف عرفت وانتهي الى قطع رأسي!

قالت اسراء: انت لا تؤيدهم؟

قال لها: منذ ان فجروا جامع النبي يونس وبقية الجوامع وانا لا اطيقهم

عندما وصلوا الى مكان قريب من المطار قال لها الرجل:

- الان ان كان فعلاً سيحصل قصف هنا، انا اريد ان ابتعد لأنني لا املك قدرة للنجاة نفسك!

ذهبت اسراء الى داخل المطار بالرغم من صراخ جنود داعش عليها ومحاولتهم لمنعها الا انها دخلت وبقيت تنظر الى الاسلحة والمتفجرات التي ينقلوها الى داخل المطار.

كانت متفجرات وعبوات كثيرة فقالت لهم اسراء:

- انكم تقترفون خطأ بصنع ونقل هذه المتفجرات سيحصل انفجار هائل بسببكم ويتلوث الجو وسوف تموت الطيور والاشجار!

كان جنود داعش يضحكون عليها ويصفوها بالفاسقة والفاجرة والكافرة،

اما هي جلست بعيداً وبقيت تنظر لهم، والمفاجأة في اقل من ربع ساعة فعلاً جاءت طائرة وقصفتهم!

كانت اسراء تريد التواجد قربهم لتراقب السنة اللهب وتحاول ان تستمع الى صوت الانفجار لكنها لم تسمع شيء فقط شاهدت النار والفوضى الكبيرة التي حصلت!

بعدها جاءت سيارات الاسعاف واتهمها التنظيم انها من قامت بتبليغ قوات التحالف حول موقعهم لكنهم لم يملكوا اي دليل عليها كونها لا تملك هاتف محمول فاعتقدوا وجودها بالمطار كان مجرد صدفة.

بعدها اسراء بدأت تتطور عندها الحاسة حول التنبؤ بالأماكن التي ستحصل بها انفجارات وكانت تحاول ان تنبه العوائل التي تسكن قرب الأماكن التي سيقع بها الانفجار فكانوا يصدقوها بعضهم وينجون والبعض الاخر يرفضون ويموتون!.

وفي احد الايام قررت الذهاب الى الحي الذي كانت تعيش به لترى منزلها لكن الصدمة كل شيء تغير ومكان بيتها والبيوت قربه تم تحويلها الى مدرسة اهلية!

بعدها ذهبت تجاه بيت مهند وتذكرت اول لقاء لها معه وكيف انقذها وبدأت تستجمع قواها العقلية لتندمج اكثر مع الواقع.

- 13 -

طوال سنوات عملي بمجال النفط وكنت احاول ان اجد فرص عمل اخرى لكن بسبب الراتب الشهري الوفير الذي أحصله اتراجع وابقى يومياً أفكر هل الاموال مهمة وانا اقضي ايامي بالتعب والارهاق بمجال لا احبه؟

وعندما اعود للبيت أمي تواصل إلحاحها علي بقائمة طويلة من الفتيات التي ترغب في ان اتزوج بإحداهن!

وتستمر بمقارنتي بأقاربي وان فلان أصبح لدية خمس اولاد وفلان ادخل ابنه للمدرسة وانا لا أزال عازب!

لم تكن عندي مشكلة بالزواج عدا اني لا اريد الارتباط الان ولا اعلم لماذا؟

اشعر اني غير مستعد لتكون لي شريكة حياة الان!

كنت اشعر اني لست شخص عادي بمجرد ان ادرس واعمل واتزوج وانجب واموت كنت اريد حياة غير تقليدية!

حقيقة اشعر بفوضى برأسي فهناك افكار كثيرة تحتاج اعيد ترتيبها فيما يخص العقيدة والوجود وكنت ألتجئ للكتب وابحث عن الاجابات لبعض اسئلتي ولكن العمل يأخذ مني اغلب الاوقات فلم أعد أقرأ كالسابق.

في أحد الايام كنت احضر نفسي للعمل فاليوم عندي دوام مسائي، خرجت من الغرفة وكان صوت التلفاز عالي وذكر خبر «سقوط محافظة نينوى والانبار وصلاح الدين بيد تنظيم داعش والتنظيم يتقدم نحو بغداد» وكانت امي وابي وسهاد ينظرون لبعضهم بعض مستغربين وخائفين من تطور الاوضاع بلمح البصر في غرب العراق فكيف حصل ذلك بين يوم وليله؟ كأنه مخطط له من ايادي خفية لنوايا خبيثة!

خرجت من البيت واوقفت سيارة تكسي لتصلني لموقع العمل فإذا بالسائق يفتح الراديو على الاخبار التي لاتزال تتحدث عن احتلال الموصل وتهديدات داعش!

فطلبت منه أن يغلق الراديو بسرعة فرفض وقال لي انه يريد الاستماع فأخبرته اني لا اشعر بصحة جيدة وهذه الاخبار تزعجني!

فبدأ بالضحك علي فوجدت نفسي لا اقوى على الرد عليه واكتفيت بالنظر عبر نافذة السيارة أحاول تجاهل كلمات المذيع، كنت اشعر اني خسرت شيء في الموصل عند احتلال داعش لها ولكن لا استطيع تحديد ما هو؟

لماذا أشعر بالضيق؟

نعم اشعر بالغضب مما حصل كما غضبت لدخول الامريكان وجميع الحروب لكن هناك شعور اخر يلازمني لا اعرف كيف تفسيره! كأن شيء جزء مني تم اخذه بعيداً، بعدها انتهت الاخبار ضع السائق القران وتلاوة لسورة الأسراء /

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»

كأن هناك شيء لمح لي «أسراء «فعلاً اسراء التي اكننت لها مشاعر قبل سنوات ولازمتني في احلامي وكوابيسي وانقطعت عنا أخبارها واخر ما عرفناه عنها ان اخيها عمر تم قتل على يد جنود الاحتلال في الموصل!

الان ماذا سيحصل لها هناك؟

فألتفت للسائق واخبرته: هل ممكن ان تحوله لقناة فيها اخبار مرة اخرى؟

فضحك علي السائق وقال: ألم تقول لي انك لا تريد تسمع الاخبار؟

زفرت بحيره وانا خجل من تقلباتي الغريبة!

فقال السائق مرة أخرى: يبدو انك فعلاً مريض!

بعد أن وصلت للمصفى كان تأتي لي ذكريات عن اسراء وأكاد لا أتذكر ملامح وجهها فقد مرت سنوات كثيرة. بعد منتصف الليل ذهبت الى غرفة النوم لأنام ساعتين فلقد قسمنا العمل وانا وزملائي بالمجموعة وجدت هيثم وسهيل يشاهدون شيء ما في الايباد ويضحكون بهستيرية!

فلم استطع ان انام من ضحكاتهم وكلامهم فطلبت منهم الصمت فدعوني لأرى المقطع في الايباد، أخذت الايباد وفتحت المقطع فأذا بي ارى مجموعة جنود داعشيين يصرخون:

«الله أكبر اقتلوها...اطعنوها»

وكان هناك بضع جنود يرتدون ملابس سوداء ولحياهم طويلة ومبعثرة ويحملون اسلحة ويطلقون النار على فتاة وكانوا بعدها يبتعدون كأن الفتاة تشع منها اشعة كالشمس تحرق عيونهم فيبتعدون!

لكن الفتاة لم تكن خائفة وكانت تضحك وتقترب منهم الغريب ان جسم الفتاة ووجهها تم عمل تمويه لها لان اصدار الفيديو داعشي، وان الفتاة حسب كلامهم غير محتشمة وغير محجبة وتخرج وجهها ولكنهم كانوا يصفونها بأبنة الشيطان ويتوعدوها بالتعذيب!

لكن طلقاتهم لا تخترق جسدها وحتى لو اقترب منها احدهم يحمل سكين لذبحها كان يبتعد وهو يصرخ كأن شيء منها منعه عنها!

لم افهم جيداً ما يحصل بالرغم من أني كررت الفيديو تسع مرات وأخذت أفكر هل هذهِ لعبة جديدة ومن خزعبلات داعش؟

هل ملوا من اصدارات ذبح الناس ومنتسبي الشرطة والجيش وبدأوا بإصدارات جديدة تتضمن مشاهد خيالية واكشن؟

وفي صباح اليوم التالي عدت للبيت ووجدت امي واختي يتحدثون عن نفس الفيديو وقالوا لي انهم شاهدوا الفتاة الغريبة في جميع نشرات الاخبار!

فأصبحت متيقن انه مجرد لعبة من داعش لغرض جذب الاهتمام والجدل بعد اعلان خلافتهم المزعومة، من جانب اخر وجدت هناك دعوى من المراجع لتطوع من يملك المقدرة لحمل السلاح لمقاتلة التنظيم الارهابي الذي أخذ بالتمدد ويهدد بالوصول الى النجف وكربلاء، معظم معارفي تطوعوا فجلست أفكر هل بدأت حرب جديدة؟

هل سيبقى الشباب حطب لنار مشتعلة من قبل السياسيين؟

وبعد أشهر ظهرت تجاوزات وحشية ومجازر مروعة اقامها تنظيم داعش تجاه عدد من الجنود العراقيين حيث دفنوهم احياء!

اضافة الى مجازرهم بحق الايزيدين في شمال غرب نينوى وبعض سكان مناطق الغربية بحجة انهم مرتدين وتهجير المسيحين..

صراحة بدأت داخلي رغبة مشتعلة كبيرة ان اتطوع ولا ابقى ساكن مما يحصل لكن امي وبعض زملائي بالعمل اقنعوني بالعدول عن قراري!

بحجة كل شيء سيتحسن وهناك متطوعون بالألاف ولا داعي اترك وظيفتي التي اغلب الشباب يتمنوها، الى ان رأيت شيء جعلني افقد صوابي وجدت اني يجب ان اتطوع واذهب الى الموصل!

حيث انتشر مقطع يظهر وجهة تلك الفتاة التي لا يستطيع الدواعش قتلها!

لا اعلم مصدر الفيديو لكنه تخطى ملايين المشاهدات وحصل على عشرات التحليلات حيث الفتاة كانت تشبه تماماً أسراء بل المصادفة ان الفتاة اسمها فعلاً أسراء!

حيث تم تصويرها كاملة من قبل احد الاشخاص داخل الموصل وقام بنشرة في مواقع التواصل واشتهر الفيديو، كانت لاتزال بملامحها الجميلة وكان شعرها اسود حريري يتطاير حول ظهرها وترتدي فستان احمر ممزق اظهر ساقيها وساعديها لم تكن تتحدث كانت فقط تبتسم، بعدها بدأت بتصفح اي خبر يتحدث عنها فوجدت وكالات اجنبية تتحدث عنها وتصفها «بالفتاة المعجزة التي لا تموت» والبعض يصفها «الفتاة المجنونة التي تسير وسط النار» وبعض الصحف العربية والعراقية وصفوها انها»عميلة لداعش»و»صنيعة داعش»حيث داعش تعمد يرسل هكذا فتاة اثناء مواجهاته من اجل التمويه على القوات الأمنية لكن كلامهم كان خارج حدود المنطق والعقل!

لأن هناك مقاطع أخرى لداعش يصفها «ببنت الشيطان» ويتهمها بأنها «صنيعة ماسونية»!

كل الاخبار لم تشبع فضولي حول معرفة ما يلي:

- ما الذي حصل لها وجعلها هكذا؟
- وهل فعلاً انها لا تتأثر بالرصاص ولا يمكن لأحد أن يقتلها؟!
- وكيف حصلت على تلك القدرة؟
- هل فعلاً انها ممثلة ووجودها يخدم جهة معينة؟
- ولماذا ظهرت الان؟

فلم أستطع ان افتهم ما يجري ولكني صورت وجهها الذي ظهر بأحد المقاطع وقمت بسحب الصورة من الطابعة وعلقتها في غرفتي وبدأت اقرأ تفسيرات مختلفة حول ظاهرتها فهناك تفسيرات ميتافيزيقية واخرى دينية واخرى سياسية!

ومع الايام وجدت نفسي مهتم كثيراً بمسألة ما يجري من تقدم وجرائم لداعش حتى بدأت اسحب صور لبعض شخصياتهم التي تظهر في إصدارتهم واعلقها بغرفتي فعندما تدخل لغرفتي ستجد صور ضحايا سبايكر وتجد في صور اخرى المناطق الاثرية التي قام داعش بتفجيرها مثل جامع النبي يونس وجامع النبي شيت وجرجيس والكنيسة الخضراء وركام المدينة الاثرية نمرود وقلعة تلعفر ومتحف الموصل ومكتبة الموصل وتمثال أبو تمام وعثمان الموصلي..

كما كنت اضع صور لسياسيين وقادة امنيين لهم تهم موجهة بدعم داعش وعلاقة كبيرة بمساعدة داعش في احتلال المدن.

كنت اقوم كأن شيء يدفعني ادرس ما يجري جيداً.

في أحد الايام جلست من النوم وتوجهت نحو الحائط الذي علقت فيه الصور وكنت اتأمل في الصور وقلبي ينبض بقوة غضباً وفزعاً وحيرة مما يحصل بعدها توجهت انظاري الى صورة الفتاة التي أحببتها من اول نظرة وقلت:

- لا اهتم بالأوصاف التي يلقبونك بها لكني اعلم انك لم تؤذي اي أحد وأنك ضحية ومسكينة وتبدين وحيدة ضائعة لن اتركِكِ!

بعدها نظرت لصور داعش واخرى للسياسيين ومن ثم وقعت عني لصورة لأحد ابطال الجيش العراقي فطرأت لي فكرة اني استطيع اخرج نفسي مما انا عليه من مجرد متابع للأحداث حيث ممكن اكون عضو فعال فيها!

وممكن تكون لدي فرصة احتضن أسراء بعيد عن هذه الحرب!

ـ 14 ـ

نهضت باكراً ولكن لم اتوجه الى العمل كالعادة وانما توجهت الى صديقي الذي انضم للجيش من قبل سنتين والان هو برتبة ملازم وتحدثت معه حول رغبتي في الانضمام للقوات المسلحة والمشاركة في عملية تحرير المدن من الارهاب.

كان متفاجئ من قراري كوني مهندس نفط وارغب في ترك عملي بالرغم من الاموال الكثيرة التي اجنيها وأتوجه الى نار الحرب، فأخبرته اني لم اخلق لأكون موظف مدني! وفي قلبي نار لا تنطفئ حتى اشارك بالمعارك لاسيما بعد تجاوزت التنظيم الارهابي تجاه الديانات المختلفة خصوصاً اليزيدين وتدمير الاثار وتهديداتهم لزحف اكثر نحو العاصمة والمدن الجنوبية، المهم بعد ان استمع صديقي الى كلامي ولاحظ حماسي نصحني ان لا انضم للجيش نفسه وانما انا مرشح ممتاز للانضمام الى القوات الخاصة «الفرقة الذهبية «كوني خريج جامعي واملك جسد رياضي قوي وطويل فأخبرته كيف ابدأ؟ قال لي في منتصف الشهر سيعلنون حول متطوعون جدد وفعلاً صبرت الى منتصف الشهر.

وتم الاعلان عن الحاجة الى متطوعون في صفوف القوات الخاصة لكن العدد فقط 17 اي سأكون ضمن مقدمين كثيرون ولابد ان اكون الاكثر

تميز وانجح بالاختبارات والفحوصات بعد ان قدمت اوراقي، اخبروني سيتصلون بنا بعد اسبوع في حال تم اختياري.

اثناء تلك الفترة كنت لابد ان أهيئ نفسي للاستقالة من المصفى حتى لو تم رفضي ضمن صفوف القوات الخاصة، كنت مصمم لأنضم الى الجيش او الحشد المهم اشارك في معارك التحرير، كما لابد ان افاتح موضوع رغبتي في الانضمام للقوات العسكرية ومشاركتي في الحروب القادمة الى عائلتي التي كنت متوقع انهم لم يشجعوني وسيرفضون وفعلاً كان اعتقادي صحيح حيث امي رفضت بشدة موضوع استقالتي واخبرتني انها كانت تخطط لزواجي وانا صدمتها بقراري فهي كانت تخطط لي لحياة مستقرة لأكون زوج واب وانا مقرر ان أتوجه الى الحرب!

لم افلح في ان افهمها وجهة نظري لأنها كانت تردد ان ابيها استشهد في الحرب الخليج واخيها انضم للحشد الشعبي واصيب بجروح خطيرة فلماذا يجب عليها ان تفقد ابنها؟

فشعرت بالغضب من كلامها واخبرتها لماذا لا تملك ثقة بي وبقوتي؟

لماذا تعتقد ان الارهابين سينالون مني بسهولة؟

وافهمتها اني سأعود من المعركة رافع رأسي ولن اعود انا فحسب وانما اعود واتزوج لم اخبرها برغبتي في العثور على اسراء لأنها كانت تعرف الاخبار التي تناقلها وسائل الاعلام حول اسراء وعرفتها هي واختي انها الفتاة التي قبل سنوات كانوا جيراننا وتم قتل والدها وانجبروا للنزوح الى وسط العراق، حيث كانت اسراء بالنسبة لأمي وبقية الناس انها فتاة خطيرة وعندها ولاء لداعش كونها تتواجد في الاماكن التي سيطروا عليها وداعش اول من اعلن عنها،

وانها مجرد خدعة قام بها داعش ليصرف نظر الناس عن جرائمهم وسرقاتهم.

بعد اسبوع حالفني الحظ وتم ارسال رسالة لي من قبل وزارة الدفاع اني يجب ان اذهب للمقابلة في العاصمة حيث تم قبولي، كنت سعيد جداً ومتحمس، توجهت الى الحائط بغرفتي وبدأت ازيل الصور التي لصقتها به مثل صور اسراء والجنود والسياسيين والدواعش وكل شيء من خطط واهداف لأني لم ارد امي تنظر الى الحائط عندما اغادر وتعرف خططي وسبب الرئيسي لتطوعي للقتال!

كنت ازيل الصور والكتابات وكأني ارى حلمي حقيقة وكل شيء سيسير وفق خطتي وكل الذي يجب ان افعله الان هو الذهاب الى العاصمة وفي ليلة ذهابي جاء والدي وعلق لأول مرة على قراري في الذهاب كانت عيناه حزينة وكان يدخن بشراهة وقال لي انه سيدعو لي بالتوفيق والانتصار وانه يحترم قراري، كان يعلم والدي اني ان عزمت على شيء سأقوم به حالاً ولا التفت للوراء، سواء رفض هو او امي، انا عازم على التطوع والمشاركة بالقتال.

توجهت للعاصمة فجراً وطوال الطريق كانت امي تتصل في وتحاول تقنعني بالعدول عن قراري لكن فهمتها اني استقلت من العمل ولن اعود ان لم احقق هدفي لكنها استمرت بمعاودة الاتصال حتى انتهى شحن البطارية وتوقف المحمول!

عندما وصلت الى بغداد والى مبنى وزارة الدفاع تم توجيهي لأجري فحوصات طبية وبعدها تمت المقابلة التي كانت اسئلة رسمية ومن ثم

تم وضعي مع مجموعة من الرجال المتقدمين ايضاً وتم اعطانا تعليمات حول التدريبات التي سنقوم بها ولاحظت في الجدول ان تدريباتنا ستستمر سنتين الى ثمانية اشهر وخلالها سنجري تدريبات في دول مختلفة كالأردن وامريكا واستراليا والمانيا وعندما نتخرج من الدورات سيتم توجيهنا مباشرة للمعارك

ونشارك في عمليات التحرير وفهمت من خلال التعليمات ان خطة تحرير المدن من داعش ستحتاج من ثلاث الى اربع سنوات وانا والرجال الذين معي سنشارك 100% في معركة تحرير نينوى وهذا ما جعلني متحمس كون هذهِ المنطقة الاكثر اهمية بالنسبة لي، مع الايام لاحظت ان التدريبات كانت مجهدة وصعبة وصارمة لكني كنت نشيط ومجتهد واحاول التعلم كل شيء يجعلني استطيع اخوض المعارك بذكاء ونجاح تم تدريبانا على اسلحة كثيرة وقيادة المركبات المختلفة وتم اخضاعنا الى تدريبات خطيرة ليقيسوا ادائنا اثناء المعارك.

ـ 15 ـ

لا اصدق ما اقرأه في الصحف وشبكات التواصل الاجتماعية والذي اسمعه في البرامج ونشرات الاخبارية كون أسراء فتاة خالدة لا تموت!

ولا تتأثر بالطلقات النار ولا بالانفجارات وانها تتواجد في المناطق التي تحصل بها اشتباكات عنيفة ما بين القوات العراقية وجنود داعش!

ولا تتأثر بالشظايا والرصاص كما الصور والمقاطع الفيديو التي تم نشرها عنها كون جنود داعش لا يستطيعون الاقتراب منها وطعنها او حتى اي شخص اخر يحاول اذيتها اجد فيها تشويه كبير فلا يخفى لأحد خدع افلام هوليوود اصبح بوقتنا الحاضر يستعيرون منها في صنع اخبار زائفة!

انا اعترف ان الفتاة التي تظهر بالأعلام هي نفسها أسراء زميلتي في الطفولة اعرفها من شعرها الحريري الاسود وملامح وجهها لكن ابداً لا استطيع استيعاب لماذا تظهر بتلك الحركات والمواقف!

وما هو الشيء الذي حصل لها وجعلها هكذا؟

ما دفعني اكتب وانشر هذا هو ملاحظتي لبعض الفتاوى التي تحلل قتلها بل وجدت بعض المسؤولين يقولون لابد من القاء القبض عليها واستهدافها كونها عميلة للإرهاب واخرون يصفونها انها عميلة لأمريكان واخرون انها عميلة للإسرائيل!

فأريد ان اضع النقاط على الحروف بهذهِ المقالة:

- كيف تكون عميلة للإرهاب ونحن نرى مقاطع لها والارهابيون يطلقون عليها النار واخرون يحاولون طعنها!؟
- كيف تكون عميلة لبقية الدول؟ ما الفائدة من ذلك للأمريكان او الاسرائيليين او اي فئة اخرها يلصقون اسراء فيها؟

فهي لم تقتل اي احد من الجنود العراقيين او الداعشيين!

هي فقط تسير بينهم!

ارى ما يحصل لها اما تهويل أعلامي او شيء غامض بعيد تماماً عما يصفوها كالشعوذة او انها عميلة لجهة ما وبالنسبة للفئة التي تؤيد قتلها اريده ان يقرأ بعض المواقف التي سأكتبها في مقالاتي الاخرى حول طفولة اسراء فهي كانت زميلة لي عندما كنت في المدرسة الابتدائية ولمدة ست سنوات كانت طفلة صامته وخجولة ذو شعر حريري طويل وبشرة بيضاء وعينيين سوداويتين وشفه ممتلئة،

لم تكن تصنف ضمن الطالبات المتفوقات بل بالعكس كانت تتعرض للضرب كثيراً من قبل المعلمات فعندما كانوا يطلبون منا شرح الدرس وحل التمارين على الصبورة لخجلها لم تتفاعل فصنفت ضمن الكسالى، كنت انا اقوم بشرح الدروس بينما هي كانت تتلكأ بالكلام ولا تكمل فيعتبروها لم تدرس جيداً ولا ابالغ ان قلت انها كانت تضرب يومياً مع بقية الطالبات الغير مجتهدات

عدا درس العلوم الذي كانت ذكية فيه، في احد الايام حصلت مسابقة بين المدارس في درس العلوم فقررت المعلمة ان تختار اربع طالبات

يمثلون مدرستنا كنت انا ضمن الطالبات مع صديقتي مريم وبراء فقد كنا نحن الثلاثة من المجتهدات الذين ننجح بكل الدروس بدرجات متفوقة والطالبة الرابعة التي اختارتها كانت اسراء فلم نسعد لاختيارها معنا بحجة انها كسول ببقية الدروس لكن معلمة العلوم اصرت على ان ترافقنا كونها ذكية بالعلوم والمسابقة قد يحصل بها اسئلة خارج منهجنا الدراسي، عندما وصلنا لمكان المسابقة جلسنا مع بقية طلاب المدارس الاخرى اما معلمتنا جلست بنفس القاعة مع بقية المعلمين واللجنة المسؤولة عن اختبارنا كانوا يجلسون امامنا خلفهم صبورة كبيرة وكانت اللجنة تتألف من معلمين ومعلمة كانوا يبدون في الاربعينيات من عمرهم وينظرون لنا كأنهم متحمسين لمعرفه هل نحن نخبة طلاب المميزين في المحافظة ومن منا اكثر تميز وقادر على الاجابة للأسئلة المحضرة لنا؟

لكن حصل التباس وهو انهم يريدون فقط ثلاث طلاب للاختبار وليس اربعة من كل مدرسة فحصلت فوضى بالقاعة فنادى احد مسؤولين اللجنة بصوت عال ان نهدئ ومعلمينا سيختارون منا من سيقف امام لجنة التحكيم فأسرعت معلمتنا وقالت:

- جنان ومريم وأسراء ستمثلون مدرستنا جهزوا انفسكم جيداً

عندما رحلت المعلمة قالت براء: من الجيد لم تختارني معكم لأني اشعر انهم سيسألون اسئلة صعبة ولست مستعدة كفاية!

وبعد مرور نصف ساعة الفتاة التي تجلس قرب براء بدأت بالحديث معها وكانت تمتدح نفسها وزميلتها ومدرستها وتقول انهم سيحصلون على المركز الاول

بعدها تحول الكلام الى حصول مقارنة ما بينها وبين براء فقامت براء بالدفاع عن نفسها فقالت لها انها الافضل والاشطر!

فقالت لها الفتاة ان معلمتها اختارتها لتشارك في المسابقة لأنها شاطرة ومتفوقة فشعرت براء بالغضب والغيرة وقالت انا كذلك اختارتني!

بعدها التفت ألينا وقالت انها تريد تكون ضمن الثلاث طالبات الذين سيمثلون امام اللجنة فرفضت انا ومريم ان نتخلى عن موقعنا من اجلها

فقالت لإسراء انها ستذهب بمكانها فرفضت اسراء لكن كانت براء تعامل اسراء كنكرة مستغله خجلها وانطوائها وفعلاً عندما تم وصول الدور الى مدرستنا من اجل الاختبار ووقفنا لنذهب دفعت براء اسراء ورافقتنا فحزنت اسراء وبقيت ساكنة لا تعرف ماذا تفعل!

ولسوء الحظ لم نفلح بالاختبار فقال لنا احد المعلمين المسؤولين عن الاختبار انهم سيسألوننا سؤال خارج منهجنا الدراسي وسيترك لنا نحن الثلاث دقيقتان للإجابة

كيف نعرف عمر الشجرة الميتة؟

فبقينا ننظر اليه لانعرف ماهي الإجابة!

فقالت براء: يمكننا حساب عمر الشجرة من اول زراعتها كبذرة ندون التاريخ ونحسب السنوات التي نمت فيها.

فتعالى ضحك المعلمين واللجنة وبعض الطلبة الذين يجلسون في المقدمة فشعرت معلمتنا بالأحراج الشديد منا والتفت الى حيث تجلس أسراء ونظرت اليها نظرة غاضبه كونها لم تأتي لتمثل مدرستنا وكانت تعرف جيداً أن أسراء يمكنها الإجابة لهكذا سؤال،

فقال لنا المعلم: حظ اوفر يا مدرسة «اجيال الغد»!

وعندما انتهى الاختبار تم اعلان النتائج وكان تصنيف مدرستنا الاخيرة

فقامت معلمتنا بتوبيخنا بشدة بعدها التفت الى أسراء وسألتها ما هو عمر الشجرة يا أسراء؟

أجابت أسراء: يتم حسابها حسب الحلقات المتسلسلة المتواجدة في ساقها

فصرخت عليها: ولماذا لم تذهبي امام اللجنة وتمثلي مدرستنا ان كنتِ تعرفي الاجابة؟

الم اختارك مع مريم وجنان؟!

لماذا لم ترافقيهم؟

فنظرنا الى براء التي لم تظهر اي علامات الندم على فعلتها بل كذبت وقالت للمعلمة:

- ان اسراء طلبت مني الذهاب لأنها كانت خائفة من المثول امام اللجنة!

فحاولت اسراء نكران ذلك وقول الحقيقة لكن لم تعطها معلمتنا اي مجال للتوضيح وقامت بصفعها بوجهها بقوة وقالت لها: خسارة فلوس سيارة الاجرة الي دفعتها لك!

اما انا ومريم بقينا صامتتان ولم نتفوه بالحقيقة..

طول الطريق وحتى عندما وصلنا للمدرسة كانت اسراء تبكي ولم تفارق الدموع عيناها!

كان هذا الموقف طابع في ذاكرتي حول اسراء فتاة خجولة وبريئة وانطوائية لم تكن تفلح بالدفاع عن نفسها فهل لاتزال كذلك؟

حالياً الشائعات كثيرة حولها وصور ومقاطع فيديوهات غريبه تظهر لها ومعظمها مرعبة!

ولا اقوى على اكملها لاسيما المقطع الذي اظهرها وهي تقف امام احد الدواعش وهو يطلق عليها وابل من اطلاقات الرصاص لكنها لم تتأثر بها حيث ظهرت حولها كالهالة التي صدت تلك الإطلاقات!

أما المقطع الذي تسير فيه بين البيوت المتهدمة في احد الاحياء السكنية الذي تم اخلاءه من السكان لشدة القصف الذي تعرض له لم يبقى به طائر ولا حتى قط فكيف تسير هناك لوحدها؟

بل لماذا هي هكذا؟

ألا تخاف؟

ماذا جرى لها؟ هل هو مرض نفسي؟

اتمنى علاجها وايقاف نشر الشائعات والاكاذيب حولها واتقوا الله في هذهِ الفتاة المسكينة!.

جنان

زميلة اسراء في الدراسة الابتدائية

ـ 16 ـ

بعد مضي سنتين وثمانية اشهر، كنت خلالها أضع خطط لإنقاذ اسراء ومتابع بشغف احدث الاخبار وما يتم النشر عنها.

لاحظت التناقضات الكبيرة والاشاعات المزيفة التي تظهر بين فترة واخرى!

فهناك وكالة اعلامية صرحت ان داعش تمكن من قتلها واظهروا فتاة ملفوفة بغطاء اسود وقالوا تم تقتلها لكن بعد اسبوع تم تسريب لها فيديو في المدينة القديمة!

واختلفت اراء الناس بين مؤيد لها ومعارض، ما بين من يعتبرها كاللعنة التي حلت على الدواعش وكسرت قوانينهم كونهم يريدونها ان تغطي وجهها وشعرها وهي لا تفعل وان حاولوا قتلها او قطع رأسها مراراً وتكراراً!

اما البعض اعتبرها لعنة القرن الحادي والعشرون فما اظهرته من قدرات جعل البعض يحاول يفسرها من الناحية العلمية وبدأ البعض يؤمن ان هناك بشر يولدون وهم يملكون معجزات!

اما البعض كان يحلل ويفسر ما المميزات التي تمتلكها اسراء وأعطاها الله هذه الهبات؟

ومع الايام لاحظت هناك فتاة تظهر في وسائل الاعلام تدافع عن اسراء بشدة وترفض ان يتم تصنيفها على انها مجنونة او مشعوذة او ارهابية، كانت هذه الفتاة اسمها جنان وتدعي ان اسراء كانت زميلة لها في المدرسة ولا تملك اي قوى خارقة بل كانت فتاة عادية جداً، شعرت بالراحة بداخلي كون هناك من يدافع عنها ويشهد انها فتاة طبيعية!

انا من ناحيتي لا استطيع افسر مصداقية الفيديوهات التي نشرها تنظيم داعش عنها وأجد من الافضل أن اؤجل تفسيراتي واسئلتي الى أن أقابلها وأتكلم معها وألاحظ بعيني هل فعلاً هي خالدة؟

تم اصدار اوامر لي مع مجموعة من زملائي المشاركة في اول معركة لنا وهي قرية صغيرة في احد اطراف مدينة تكريت حيث كانت تجري معارك لتحريرها،

كنت متحمس للمشاركة وفعلاً لم تكن المعركة سهلة كان الدواعش بين البيوت فكان لدينا مسؤولية حماية المدنيين الذين لم تتح لهم الفرصة لمغادرة القرية وبالرغم من شدة المعركة ألا اننا تمكنا من تحرريها بوقت قياسي وبأقل خسائر اما الرجال الذين معي ولحسن الحظ لم يصب احد منهم عدا واحد تعرض للإصابة في قدمة اليسرى ولم تكن اصابة خطيرة.

بعد هذهِ القرية تم اعطائنا اؤامر ان نقاتل في مكان اخر وهكذا استمرينا في التقدم والانتصار، وفي احد المعارك كان قناص العدو يتمركز في مكان عال ويستهدف مقاتلينا مع تقدم انتحاري بصهريج مفخخ تجاهنا، استشهد الكثير من الرجال واصبت بحروق في جسدي لكن بالرغم من ذلك استمريت بالقتال مع ثلاث رجال!

وتمكنا من التقدم وقتل القناص ومع الايام لاحظوا شجاعتي انا وزملائي وحسن تصرفنا في اشد المعارك وكان كثير ما تكتب تقارير ايجابية عني وحصلت على كتب شكر وتقدير من وزير الدفاع حتى تمت ترقيتي لأحصل على رتبة مميزة في القوات الخاصة تتيح لي حرية اوسع في اتخاذ القرار، ومع اقتراب المعركة لتحرير نينوى تم اعطائنا تعليمات مهمة وعاجلة!

اخذت بالاطلاع عليها كانت تحتوي تعليمات سبق ان تم اعطاؤها لنا كأهمية حماية ارواح الناس وكيف نتعامل معهم وبعض الامور التي تخص العدو ولكن ما فأجاني هو وجود ملاحظة حول اسراء!

حيث كان مكتوب اهمية ان يتم استدراجها والقبض عليها وتسليمها الى وزارة الدفاع، فشعرت بالخوف عليها! لماذا يريدونها؟

بدأت احاول ان اعرف السبب فاستفسرت من بعض المسؤولين واخبرتهم انها مجرد شيء ثانوي غير اساسي لماذا يتم وضعها من الامور المهمة؟

وتبليغ المقاتلين في التعامل معها بصورة خاصة؟ ولماذا تريدها الحكومة؟

فكان الاجوبة متنوعة اغلبهم قالوا لأنها تمثل حالة خاصة وفريدة من الممكن ان يتم الاستفادة من قدراتها وتنميتها وجعلها كسلاح لنا!

اما البعض قالوا امور اخطر وهو ان استخبارات احد الدول الكبرى عرضت مبلغ كبير لشراء اسراء، كنت خائف جداً عليها وشعرت ولأول مرة ان خطتي لا تسير كما اريد فقد كنت انا المقاتل الوحيد الذي يريد

اسراء لكن الان اصبحت اسراء تمثل كواجب الزامي على جميع القوات العسكرية بمختلف تشكيلاتها ان تحرص على تسليمها الى الحكومة!

انا الان اشعر اني في معركتين الاولى هي قتال الارهاب والثانية ان انجح قبل زملائي في اخذ اسراء والهروب بعيداً حتى لا يتم ايذائها لكن خطتي في اخذها الى مدينتي لم تعد تنفع فوجود اسراء داخل البلد يعتبر خطر بل سيتم استهدافي انا كوني اخذتها بعيداً عن الاوامر التي تم توجيهها الي وقد يتم حبسي واخذها لذلك احتاج ان اعدل الخطة وان اخذها بعيداً الى خارج العراق!

وفي هذه الحالة احتاج الى جواز سفر لها وان يتم تغير اسمها ومظهرها وانا الان مقبل على معركة الكبرى ولا املك الوقت الكافي لأقوم بكل هذا احتاج الى شخص متعاطف مع قضية اسراء يساعدني في مسألة الجواز المزيف وتهريبها الى الخارج من غير ان يشعر احد بذلك!

تذكرت المرأة التي اسمها جنان التي تظهر في البرامج وتكتب في الصحف حول اسراء وتبدي تعاطفها التام معها شعرت انها الأمل الوحيد بأن تتعاون معي وتساعدني.

خمسه ايام تفصلنا قبل بدأ المعركة لتحرير الموصل فاستغليت هذا الوقت واجريت اتصالاتي مع جنان وطلبت منها ضرورة ان نتقابل، كانت هي خائفة مني ومترددة كوني عسكري فحاولت أن اطمئنها اني مهتم بقضية أسراء لأسباب شخصية واخبرتها عن حبي لإسراء ومتى قابلتها اول مرة وكيف افترقنا وكيف انا مخطط لأخذها بعيداً

فشعرت جنان بالراحة والسعادة كون هناك شخص مهتم بإسراء لأنها

تحب اسراء كثيراً وتتنمى ان يتم حمايتها واخراجها من الزوبعة التي فيها واخبرتني بمعلومات عن اسراء جعلتني احزن كثيراً حيث اخبرتني كيف تم قتل امها واخيها.

جنان كانت تظهر للأعلام فأصبح كل شخص يعرف اسراء يتصل بها ويخبرها عن اسراء وهكذا عرفت الكثير عن اسراء وما عانته من حياة قاسية، كما اخبرتني انها احتجزت لدى قوات الامريكية لحوالي سبع اشهر!

وفي نهاية لقائنا اخبرتها اني احتاج مساعدتها في الحصول على جواز لها تحت اسم أخر حتى عندما يوفقني الله واستطيع ان اصل اليها ان اخذها بعيداً واسافر معها الى الخارج وهي تحمل اسم جديد وحياة جديدة!

اخبرتني جنان ان هذا الشيء صعب والاحتمالات قليلة جداً لكي اقوم بكل هذا لكني كنت على يقين كبير اني سأنجح في ذلك، واستمريت بالتواصل معها

وكانت جنان قد تكفلت بالقيام بالإجراءات الازمة لي ولأسراء اثناء الفترة التي سأكون فيها في المعركة.

انا اشعر بالثقة الكبيرة في زملائي وبقية القوات العسكرية الوطنية بأنهم سينتصرون في معركتهم ضد الارهاب لهذا سأقف بالمعركة مركزاً على قضية اسراء، فهي عاشت سنوات كبيرة بمعاناة وبوحدة شديدة وستنتظرها سنوات اصعب واصعب ان فعلاً تم تسليمها للحكومة او تم بيعها للخارج!، ان اسراء لا ذنب لها مما جرى ولا تستحق الا حياة كريمة.

- 17 -

اشعر بشيء غريب هناك صداع داخل رأسي اريد ان اوقف الذكريات اللئيمة، ارى حولي جثث اريد ان اكون واحدة منها الان لماذا عندما سقطت القذيفة قتلتهم ولم تقتلني معهم، اشعر بالوحدة!

اريد ان اتكلم مع شخص ما!

هذا الداعشي يبدو انه شيشاني الجنسية انه يسير باتجاهي

يا لحسن حظي وجدت احدهم اتكلم معه سأذهب نحوه ايضاً...

ما هذا؟! انه يبتعد؟

سأتبعه!

اخذت خطواتي تجاهه الى بيوت يبدوا انهم قاموا بتشريد اهلها فأنا اراهم يدخلون بها ويحفرون خنادق بمعظمها والسطوح يقومون بتنصيب قانصاتهم وهناك مدرسة وضعوا بها مدفع!

واسموه بمدفع جهنم وهناك مجموعة منهم هناك بينهم طفل صغير! انه يحمل قذائف هاون!

ها انا اسير بينهم ولا افهم ماذا يجري؟ هل يحضرون لمعركة؟

الم يكن هذا الحي تطير به العصافير ويذهب الاولاد الى المدارس ويلعب الاطفال بتلك الساحة الكورة؟

الم تسير قرب هذا السوق مجاميع لتتسوق الخضار والفواكه؟

تحول كل هذا الى اشباح وهؤلاء الذي يتدون ملابس قندهارية!

واخرون يرتدون ثياب مماثلة لعسكري واخرون ملابسهم عادية!

اريد ان المس تلك البندقية التي يملكها هذاك الرجل لكن ما ان اقتربت منه وجهها نحوي وبدأ يطلق الشتائم نحوي يريدني ان ابتعد!

وذلك الملتحي يقرأ آيات قرآنية ويعتقد انها ستجعلني ابتعد عنهم فأنا بنت الشيطان بالنسبة لهم!

لا افهم شيء لكن عاد لي الصداع مرة اخرى، اريد ان ارى فتاة بمثل عمري او طفله لكي احادثها اين الحياة؟

ما هذا الجنون؟

سأدخل الى هذا البيت الذي يقومون بتنصيب به مدفع!

ما ان دخلت وجدت جثث مغطاة في بطانية موضوعة في حديقة البيت علمت انهم ينقلون قتلاهم الى هنا، سأدخل لأرى داخل البيت وجدت جرحى اعدادهم ثلاثة عشر اغلبهم فقدوا اعضاء من جسدهم

انظر اليهم واتسأل من المجنون هل انا ام هم؟

اول ما دخلت البيت نعتني احدهم بالغبية وقال: اتركوها انها الغبية اسراء الفاجرة

وقال المصري: مفيش حاجة تقتل هذهِ الشيطانة؟

وقال لي احدهم: استري وجهك وجسمك عيب عليكِ تمشين بفستان ممزق يا حطب جهنم!

تركتهم وذهبت لأحد الغرف وجدت مرآيا وقفت اتمعن نفسي بها!

لا اعلم لماذا دمعت عيني بل لم افهم لماذا تخرج الدموع فابتسمت وتدريجياً بدأت اضحك وجدت ان صوت ضحكتي يغيض الدواعش في الغرفة المجاورة فاستمريت بالضحك لم ينفع رصاصهم الذي اطلقوه علي بل حتى عندما اقترب احدهم يمسك سكينة لكي ينحرني تجمدت يده قبل ان يضعها علي فاستمريت بالضحك وانا اتمعن نفسي في المرآة وجدت هناك دماء على فستاني فتوجهت نحو خزينه الملابس بالغرفة وجدت قميص ابيض وتنورة سوداء بدا انها لطالبة مدرسية وكانت على مقياسي فارتديتها، وغسلت شعري ووجهي وبقيت اتمعن نفسي كثيراً في المرايا وجدت كم انا جميلة لكن اشعر ان ابواب عقلي مقفولة لا استطيع اتذكر الماضي!

ولا استيعاب ما يجري الان!

او من انا يا ترى؟

فقررت الخروج من هذا البيت عسى اجد نفسي في مكان أخر لكن تلك المرآيا التي وقفت نحوها كأنها لمست بداخلي شيء لا استطيع ان افهمه لكنه جعلني اشعر بالقوة بين الشوارع وجدت اصوات تهمس حاولت اتباعها فوجدت انها بنت صغيرة كنت سعيدة لأني وجدتها ما ان اقتربت منها بدأت بالصراخ والركض بعيداً فأتبعتها ووجدتها كانت تشعر بالرهبة مني وتصرخ فإذا مسكها رجل بدا انه من افراد داعش وادخلها لأحد البيوت واشار نحوي وبدأ يردد:

- حسبي الله ونعم الوكيل منك

لم اشعر اني منبوذة كما شعرت اليوم عندما هربت مني الطفلة وبقيت اسير في الشوارع لأجد شخص ما يفهمني واتكلم معه!

ـ 18 ـ

لقد بدأت الحرب وبدأت معها المعاناة فالأسواق كانت أشبه بالخاوية والاسعار جداً غالية مع حلول فصل الشتاء القارص والامطار الموسمية حتى علاج الحمى نفذ من الاسواق وابنتي الصغيرة خلود تعاني من حمى شديدة وانا لا املك الاموال الكافية لشراء لها العلاج والطعام.

فقد كنت مدرس رياضيات قبل دخول داعش للمدينة وبعدها توقفت المدارس ولم تعد الحكومة تصرف لنا الاموال الكافية فكنت اعمل سائق حتى مع بدأ الحرب!

واغلب الاوقات كانت مواجهات ومنع تجوال ألا اني كنت استغل فترات الهدوء واجد هناك عوائل تريد ان يوصلها احد ما الى الجانب الاخر من المدينة، بالرغم من تعبي وشقائي لأحصل العلاج والطعام لطفلتي ألا اني لم استطع اجد حل لمصيبة كبرى تؤثر كثيراً على جميع افراد أسرتي، حيث مع بدأ الحرب قام تنظيم داعش بوضع المدافع قرب المدارس والمستشفيات والمساجد ولسوء الحظ كانت بيتي بالقرب من احد المدارس التي قام بوضع مدفع في حديقتها وكانوا يطلقون القذائف طوال اليوم وتهتز بيوتنا والصوت كان يؤثر جداً على ابنتي، حاولت احد الايام ان اتحدث معهم ومع علمي الكبير انهم لن يستمعوا لي ولن يحركوا

مدافعهم بل قاموا بتهديدي ومحاولة قتلي بتهمة اني اتمرد عليهم وعندما اخبرتهم طفلتي مريضة ولا يوجد مكان اخر اخذها اليها لان تقريباً اغلب البيوت كانت قربها مدافعهم!

اخبروني لتموت طفلتك وستعتبر شهيدة!

عجزت عن ايجاد حل لطفلتي وكنت اعاني من وقت عصيب وفي احد الايام وانا كنت احاول ان اخرج بسيارتي لغرض العمل بالرغم من وجود طائرات في السماء شاهدت الفتاة المدعوة اسراء وكنت اعلم انها تشكل كابوس لجنود داعش واعلم انها تملك قوة تمنعهم من قتلها، فعرضت لها ان تدخل للسيارة واوصلها الى اي مكان تريد، سرعت لداخل سيارتي بدون تردد وكانت سعيدة كأنها طفلتي خلود عندما اخبرها اني سآخذها الى بيت جدتها!

عندما صعدت بالسيارة، استأذنت منها ان توافق ان ترتدي النقاب وتغطي وجهها كي لا يتعرف عليها جنود داعش، فسرعت بارتدائه ايضاً من دون تردد!

ثم اخبرتها هل هناك مكان معين تريدين ان اوصلك له؟

قالت لي اي مكان انت تريد الذهاب خذني هناك، علمت انها لا تملك وجهة مناسبة لتتوجه اليها فهذه الفتاة وضعها جداً غريب!

الا ان ما يهمني الان هو اعرض لها طلب ان تساعدني وفعلاً وانا اسير قرب الاماكن التي يتمركز فيها جنود داعش اخبرتها انهم يضعون مدافعهم في اماكن خطيرة وستؤذينا نحن المدنيين وعندما نخبرهم ان وجود مدافعهم تؤثر على صحتها وسمعنا وحياتنا يعتبرونا منافقين

ومرتدين ومتعاونين مع اعدائهم، كذلك اخبرتها عن طفلتي خلود، اظهرت اسراء اهتمامها الكبير بكلامي وشعرت انها فتاة عاقلة ليس كما يقولون عنها بأنها مجنونه!

اخبرتها انها الوحيدة التي تستطيع ان تقف بوجهة جنودهم وتدمر مدافعهم فسألتني كيف ذلك ومن خلال خبرتي العسكرية السابقة حاولت ان افهمها كيف تتلف مدافعهم وتجعلها غير صالحة للأطلاق لاسيما ان اغلب اسلحتهم ومدافعهم هي يدوية الصنع وفعلاً قامت اسراء بأتلافها!

احياناً كانت تسلل في اوقات التي يذهبوا فيها لتناول الطعام او الصلاة او اجتماعاتهم وعندما يعودوا ويحاولوا الاطلاق يفشلوا ويبقون يحاولون تصليح المدفع ونعيش ساعات بهدوء من غير ضجيج الصوت العالي لمدفعهم وما يتسبب به من اهتزاز لبيوتنا علماً ان اغلب قذائفهم كانت تسقط على بيوت الناس والكثير من الناس قتلوا بسبب مدافعهم الفاشلة!

فكانت اسراء تحرص على تخريب اغلب المدافع التي تتواجد قرب الاماكن المكتظة بالعوائل وكان الدواعش يحاولوا قتلها ومنعها لكن لحسن الحظ لم يفلحوا!

وعندما تقدمت القوات العراقية وحرروا الحي الذي اسكن به بعد معارك لم تكن جداً شرسة بفضل اسراء التي اتلفت بعض المدافع، فخرجت انا واخبرتهم ان من قام بتخريب مدافعهم هو الفتاة العجيبة اسراء.

فسألوني اين هي الان؟ اخبرتهم لا اعلم وسألتهم عن السبب فقال لي احد المقاتلين انها تعتبر مطلوبة ويجب ان يتم القاء القبض عليها. فأخبرتهم هل السبب لتكريمها؟

لم يعطوني اجابة واضحة لكن فهمت ان اسراء ضمن اللوائح المطلوبة وسيتم سجنها فشعرت بالأسى عليها كونها ساعدتنا ووقفت بوجهة داعش وتمنيت ان اعثر عليها واقوم بتحذيرها منهم ولكنها اختفت!

وحسب ما يقوله الناس انها انتقلت لجانب الاخر من المدينة الذي انقطعت وسائل التنقل اليه كون الجسور قد تم تدميرها وعزل الجانب الايمن من المدينة عن جانبنا!

فهل ستكون اسراء بخير هناك؟

وهل ستستمر بتخريب مدافع الدواعش التي تكون قرب البيوت؟

ـ 19 ـ

عندما بدأت الحرب كنت ضمن القوات المتقدمة للأمام ولم تكن المعارك سهلة وفقدت زملاء كثيرون لكننا نجحنا في تحرير الجزء الايسر من المدينة بالتعاون مع تشكيلات القوات المسلحة الاخرى وكنت متأمل جداً اني سأجد اسراء في أي لحظة ولكني لم ألاحظها فظهرت شائعات انها في الجانب الايمن من المدينة، وقبل ان يتم الاعلان متى ستبدأ المعارك في الجانب الايمن، استغليت وجودي قرب الناس الذين كانت اسراء قربهم وبدأت استفسر عنها والرائع اغلب الناس يعرفونها ويحبونها ولكن المؤسف كان البعض يطلق عليها «أسراء الملعونة «واخبروني انها ساهمت في تخريب معظم مدافع داعش وظهرت قصص بطولية كثيرة عنها وكنت اعطي رقم هاتفي لكل شخص يعرفها واطلب منهم الاتصال بي لو صادف وان رأوها.

وتقريباً كنت اكثر مقاتل يسأل الناس عنها لهذا كثير ماكنت اقابل الناس واستمع لرواياتهم عنها والصراحة ازداد اعجابي بها ورغبتي في تخليصها من المصير الاسود الذي ينتظرها!

وفي أحد الايام جاءت لمقرنا عجوز وطلبت مقابلتي وخرجت لأعرف ماذا تريد، عرفت نفسها بأنها «ام مهيمن» وانها تملك معلومات عن اسراء

فتحمست كثيراً لسماع ما تقول، فأخبرتني انها كانت جيرانهم وحدثتني بالتفصيل كيف تم قتل ام اسراء واخوها عمر وحدثتني كذلك عن رجل يعرف بأسم مهند كان مقرب جداً من اسراء واخبرتني انها احتجزت عند الامريكان ومهند قتل نفسه في سبيل تخليصها منهم!

ولكنها لا تعرف ما حصل لأسراء بعد ذلك، واخبرتني كذلك انها عندما كانت تعيش قربهم كانت لا تستطيع سماع صوت الرصاص والانفجارات!

فشكرتها عن المعلومات واخبرتها بضرورة الاتصال بي ان شاهدت اسراء او عرفت أي خبر عنها.

كنت اكتب في الصحف الامريكية وارسل لهم معلومات ان اسراء كانت محتجزة عند الامريكان واطالبهم بنشر مقالة حول ذلك عسى ولعل تظهر لنا المعلومات الكافية لماذا حجزوها وهل فعلوا لها أي شيء اثناء فترة احتجازها أثر عليها وجعلها تبدوا كما هي عليه اليوم؟

وفعلاً تم تشر مقالات وصارت ضجة اعلامية تحت عنوان «الفتاة الغريبة كانت مسبقاً محتجزة عند قوات التحالف» وظهر تصريح للقوات تؤكد فعلاً انها نفسها الفتاة التي كانت محتجزة عندهم لكنهم حجزوها لأنها كانت ارهابية وتستهدف قواتهم، فحاولت انا بدوري افضح كذبهم واظهر انهم قتلوا اخيها لكن للأسف كانوا يحاولون ربطها بالإرهاب حتى يبرروا افعالهم تجاهها ويدفعون الاموال للصحف حتى تكتب من اجلهم.

لم انجح في تحسين صورة اسراء للرأي العام وكنت اتمنى ان يقف الجميع مع قضيتها وقد يساعد ذلك في الغاء القرار الصادر بحقها وبقيت ابحث واسأل عنها واترقب حصول معركة الجانب الايمن من المدينة.

ـ 20 ـ

كنت اشعر بالسعادة عندما اوقف عمل تلك المدافع التي تجعل الاطفال يشعرون بالخوف كما لاحظت الاوضاع الصعبة التي يعيشها الناس من انعدام الغذاء والماء والكهرباء والمشتقات النفطية، كانت تحصل مجاعة ومجازر بحق الناس!

شعرت اني ارغب في الذهاب قرب دجلة وعندما توجهت هناك لاحظت زوارق وبضع مقاتلين يخططون للتسلل للجانب الاخر من المدينة الذي هو الان تحت سيطرة القوات العراقية ويريدون ان ينفذوا عملية يطلق عليها «استشهادية « كنت واقفه استمع اليهم وكانوا يتجاهلون وجودي، ذهبت وجلست في الزورق فبدأ أحدهم بالصياح علي والطلب مني بالنزول فوراً لكني رفضت ببرود!

لم يطلقوا علي النار لانهم يريدون القارب يبقى سليم وركبوا قربي وسرنا بسرعة نحو الجانب الاخر، كان الوقت منتصف الليل بعدها توجهوا متسللين لداخل احد الاحياء!

اما انا فوجدت هناك اربع بيوت تم قصفها وكانت مهجورة لا يوجد قربها اي أحد فأخذني الفضول ان اذهب هناك، عندما دخلت لاحد البيوت كان شبة مدمر وكانت في احد الزوايا قطة ناصعة البياض وقربها ثمانية

قطط صغيرات شعرت بالسعادة وتوجهت قربهم، حاولت امهم تمنعني من ان امسكهم، احضرت اليهم الماء والطعام بقيت اتجول قرب هذه البيوت الاربعة، أشعر ان هذا المكان بيتي والقطة ستكون قطتي ولن اسمح لأي شخص ان يدخل هنا ويزعجنا.

ـ 21 ـ

تم تحرير منطقتنا من تنظيم داعش، يمكنني الان الذهاب الى المدرسة ومقابلة صديقاتي ومعلماتي فقد اشتقت لهم كثيراً، والدتي لا تشعر بالراحة من فكرة ذهابي أنها تقول القذائف لاتزال تسقط على حينا!

لكنني ذهبت وتمنيت لو اني استمعت لكلامها من البداية ولم اخطوا نحو المدرسة خطوة واحدة!

فعندما وصلت هناك، كانوا زميلاتي متجمهرات قرب الصف، لم تلبث بضع دقائق ونحن نلقي التحية على بعضنا بعض حتى بدأت اصوات الهاونات والقذائف في المنطقة تبعتها إطلاقات رصاص كثيفه!

أسرع بعضنا الى داخل الصف، والبعض الأخر رحلوا راكضين غير مهتمين بما يجري، بعد ساعة غادر الجميع وبقيت مع ثلاث طالبات لان بيوتنا بعيدة، كنا محتمين قرب الجدار، جاء والد احد الطالبات واخذها، بقيت انا مع اثنتين،

يبدو ان جنود داعش عادوا الى منطقتنا وسيقتلون اي شخص يجدوه تحت تهمه انه مرتد فالناس في المناطق التي حررتها القوات العراقية يعتبروهم مرتدين ويحللون دماءهم!

- دعونا نخرج..بقائنا في المدرسة لوحدنا خطر! عسى نجد احدهم يدخلنا الى بيته او سيارة توصلنا!

كان قراري نابع عن خوفي الشديد وانه لم يكن بقرار حكيم، كلما سمعنا اصوات الرصاص انبطحنا نحو الارض! كنا خائفات!

قالت احد الفتيات لنذهب باتجاه الشارع فهناك حتماً سنجد سيارة توصلنا!

وجدت كلامها خطير فكيف نذهب هناك واصوات الرصاص تنطلق من هناك وقد يكون الشارع احتل من قبل داعش فكيف نجازف؟

ونحن لا نعلم ماذا يجري عدا أصوات اطلاقات نارية وانفجارات؟!

لكنها والبنت الأخرى رحلوا وازدادت المعارك والاطلاقات..

سقطت احد القذائف بمسافة مني، لم اعد استطيع السماع سوى صفير!

شعرت بالخوف كأن قلبي سيتوقف عن النبض!

بقيت اسير ولا اعلم الى اين؟

بدأت تظهر لي سيارة عسكرية من بعيد ركضت نحوها، الطريق مرعب مليء بالجثث لجنود تم استهدافهم!

كنت خائفة كيف تحول كل شيء الى دماء ودمار بلحظة؟

ألم اجلس وانا سعيدة لأقابل صديقاتي ومعلماتي؟

هل انا في كابوس ام حقيقة؟

تعود الناس ومن ضمنهم عائلتي عندما تحصل مواجهات يدخلون للبيت ويذهبون الى أكثر مكان أمن بالبيت كالسرداب ويبقون الى ان يهدأ الوضع لكن انا ماذا سأفعل الان؟ أأذهب باتجاه الشارع الرئيسي كما فعلن الفتيات الذين كانوا معي!؟

تلاشى صوت الصفير من سمعي فميزت صوت اناشيد اعتاد داعش ان يشغلوها فعلمت ان داعش سيطروا على بعض الاجزاء، ذهبت خلف احد السيارات كأنني قطة مشردة!

ظهرت امامي فتاة جميلة وجهها منور وشعرها اسود طويل كانت تبتسم وقالت: كيف حالك!؟

وقفت متجمدة امامها ومستغربة لماذا ليست خائفة مثلي؟ هل هي بشر نفسي ام حورية؟

تذكرت قصة الفتاة التي تتواجد حيث الدمار وتعرف باسم أسراء ولا تتأثر بالرصاص، امي تصفها بالفتاة المسحورة واغلب الناس في منطقتنا يحذرون منها لأنها خطرة كما يقولون!

لم اكن اصدق بوجود مثل هذهِ الفتاة حتى ظهرت امامي ومدت يدها نحوي ولمست وجهي وقالت: انا اسمي اسراء وانتِ؟

كنت اترجف منها ولكن اصوات الانفجارات والرصاص كانت تخيفني أكثر فقلت لها:

- انا ليلى

فقالت لي: كم عمرك يا ليلى؟

قلت: هذا ليس مهم الان، ارجوك ساعديني لأصل لبيتي بأمان واحميني من داعش

فقالت لي: ماذا تعنين بأمان؟

كنت لافهم ماذا تقصد بسؤالي ماذا اعني بأمان!

ألا ترى وتسمع ما يجري حولنا؟

أخبرتها هناك اطلاقات نارية قد تتوجه علينا والمكان خطر يجب ان نرحل!

فقالت لي: لكني لم اتعرف عليك جيداً؟

تبدوا انها فاقده عقلها تماماً!

شعرت بالخوف منها وذهبت هاربة، لم أكن اعلم اين ارحل، كنت اركض فحسب، الغريب أسراء تتبعني بطريقة مخيفة جداً!

صادف أمامي همر عسكرية وجنود يوجهون السلاح نحوي ويخبروني ان انخفض ارضاً فانخفضت واستمروا يصرخون على أسراء: أجلسي للأسفل!

لكنها استمرت بالسير تجاههم ومتجاهلة كلامهم!

فاعتقدوا انها ترتدي حزام ناسف فبدأوا بأطلاق النار عليها وشاهدت بعيني ماذا جرى!

فقد كان غريب جداً!

لم تتأثر بأي رصاصة ومضت بعيداً!

كان الامر غريب جداً!

اقترب مني الضابط واخبرني واستفسر مني عن بيتي وأوصلوني وانا احمل بداخلي فضول لهذهِ الفتاة العجيبة!

ـ 22 ـ

عندما دخلت المجال العسكري وخضت حروب كثيرة كانت المعجزات تحصل حولي كثيراً، نجوت من الموت في مرات عديدة!

رأيت زملاء يقتلون امامي وحصلت مواقف كثيرة تنتهي اعتدة اسلحتنا وتقطع الامدادات عنا ونكون محاصرين من قبل قناص العدو ومع هذا ننجو وننتصر.

الحرب تجعلك تؤمن اكثر بالقدر وتعرف ان كل شيء يحصل كقسمة ونصيب وكل شخص لا يغادر هذهِ الحياة الا عندما يكتب له الله ذلك سواء كان عسكري او مدني

امور كثيرة بالحياة ممكن ان نختارها بإرادتنا لكن هناك امور لا يمكننا بل تفرض علينا وتختارنا هي كالحب والموت.

قضيت سنوات كثيرة افكر في اسراء، انا الان قريب منها وبقي فقط ان اجدها لكن الامر ليس بالسهل عندما انتشرت صورها في انحاء المدينة مع وضع عبارة «مطلوبة للعدالة ويرجى الاتصال بالرقم الاتي عند العثور عليها»

ظهرت شائعات انها خارج حدود العراق وتتواجد في المناطق التي يسيطر عليها داعش في الاراضي السورية وشائعات اخرى انها في الجانب

الايمن من المدينة وتساند داعش وشائعات اخرى انها في المناطق المحررة!

أشعر بالإجهاد من التفكير والبحث وكذلك اشعر بالخوف ان يجدها شخص غيري أن تم القاء القبض عليها واحتجازها من الحكومة تكون فرصي محدودة جداً في تخليصها من المصير الاسود الذي ينتظرها.

كنت اتمنى ان اجدها في طريقي او يدلني علي مكانها شخص ما

في احد الليالي خرجت مع زملائي كدورية الى احد الاسواق

الوضع كان امن والناس متعاونين جداً وكانوا يخبرونا في حالة وجود مشتبه به ونلقي القبض عليه قبل ان يحاول ان يفجر ويقتل

دخلنا الى احد المطاعم وكان مكتظ بالشباب المختلفة اعمارهم والمسنين، فجلسنا وطلبنا وجبتنا وكان الشباب متفاعلين معنا ومرحبين ويلتقطوا صور معنا

فجأة لاحظت طفل صغير يبدو عمرة ثمانية سنوات، شعرة طويل، اسمر البشرة، ملابسة ممزقة بدا كأنه احد المتسولين جاء للمطعم لطلب الطعام،

لحظات ودخل الى وسط المطعم بالرغم من محاولة صاحب المطعم ان يبعده لكنه حصل الامر الغير متوقع! وهو هذا الطفل كان انتحاري قاموا بوضع حزام ناسف في صدرة وملئوا عقلة بالأفكار الوحشية بأن الناس داخل المطعم مرتدون وقتلهم حلال وسيدخل للجنة ان قتلهم!

كان كالألة التي تمت برمجتها وفجر نفسة وكل الذي اذكره اني وجدت

نفسي خارج جسدي ورأيت جثتي انا وزملائي ولاحظت الدماء والدمار وسمعت اصوات سيارات الاسعاف ولاحظت الفوضى واحتشاد الناس لإخراجنا من الانقاض.

وسمعت صراخ الامهات والاباء ولاحظت النار والدخان وكل شيء، ها انا الذي كنت كالأسد في المعارك وسلمت من مواقف خطيرة كثيرة قد تم قتلي بهذهِ الصورة الجبانة وانا اريد تناول وجبتي وسط مجموعة من الشباب الابرياء ولا اعلم هل هذهِ روحي خارج جسدي توعي لما يحدث؟

هل انا خارج جسدي؟

وجدت بعدها روحي قرب اربع بيوت تم تدميرها مسبقاً وداخلهم كان هناك نور باهت واقتربت فإذا بي اجد قطة مع ابناءها وقربهم اسراء ووجها النوراني!

نعم شاهدت اسراء التي كنت ابحث عنها مدة طويلة انها هنا مختبئة بين هذه البيوت المتحطمة!

انها قريبة مني!

لا اعلم هل هذهِ نهايتي؟

هل فارقت جسدي الى الابد؟

كنت اتمنى التقي بكِ يا اسراء؟ وانقذك؟

اتمنى سماع صوت امي وابشرها بانتصارنا

هل كتب الله لي ان تكون تلك الساعة موعد استشهادي بهذا العمر والمكان من الارض؟

ـ 23 ـ

لاحظت بوسترات حول الفتاة التي صادفتها منذ حصول مواجهات قرب مدرستي!

الملصقات كانت لتبليغ القوات الامنية في حال وجدناها لأنها تشكل خطر وارهابية!، معظم الناس الذين عاشوا تحت حكم تنظيم داعش نعرف جيداً انها لم تتعاون معهم بل العكس كانت تشكل خطر عليهم وحاولوا التخلص منها فلماذا يتم اتهامها بالإرهاب؟

كنت اعرف طريق البيوت المهجورة التي تتواجد بها اسراء، كانت هذهِ المنطقة من الاحياء التي تعرضت للقصف الشديد كون جنود داعش كانوا متمركزين بها لانها كانت الاكثر ارتفاعاً في الحي.

دخلت الى احد البيوت، كان منظره مرعب حيث لا يوجد به احد وكان شبة متدمر فذهبت للأخر ثم الذي بعده واخيراً وجدتها! كانت قرب قطط صغيرة

رفعت رأسها وقالت لي: ليلى؟

تفاجأت كونها تذكرت اسمي فقلت لها احضرت لك الطعام والماء وبعض الاخبار، فوقفت اسراء وتقدمت نحوي مسرعة لتأخذ الطعام وكانت تتمتم بأنها جائعة

فنظرت الى القطط كانوا حوالي سبعة فسألتها كيف وجدتهم فقالت لي: انهم ابنائي!

شعرت ان هذه الفتاة تعاني من شيء ما بعقلها ولا اعلم هل ستفهمني عندما اخبرها انها ضمن الاسماء المطلوب القبض عليها وخروجها خطر؟

فقلت لها: انا سأحضر لكِ الطعام يومياً لكن لا تخرجي من هنا واختفي عندما تسمعي صوت احد يقترب منك!

فقالت: لماذا؟

حاولت ان افهمها ان المدينة تحت سيطرة الدولة ولم يعد هناك داعش والقوات الامنية تريد القاء القبض عليك وسيسجونك!

فضحكت وقالت: ليحاولوا ذلك!

داعش لم يستطيع يقيد حريتي!

فهل يستطيع هؤلاء؟

حاولت ان افهمها ان القوات الامنية تملك وسائل وطرق تمكنها من احتجازها للأبد وان ملصقات القبض عليها في كل مكان فهم حريصون على القاء القبض عليها

اصبحت اسراء هادئة ولم ترد علي وذهبت الى القطط وبدأت بإعطائهم الخبز ثم رفعت رأسها ونظرت لي وقالت لي: شكراً لك لتنبيهي!

شعرت لحظتها اني نجحت في اقناعها بعدم الخروج!

ـ 24 ـ

وجدت نفسي في المستشفى! كان رأسي وصدري وقدمي اليمنى ملفوفين، حاولت الحركة فلم استطع!

حاولت استيعاب ما الذي يجري لجسدي فتذكرت الانفجار الذي حدث في المطعم

اني لم امت!! ولكن انا الان جريح ولا اعلم هل استطيع النهوض مجدداً او لا؟

كنت انتظر ان يأتي احد ما ويخبرني عن خطورة حالتي وبقيت انتظر حتى غفيت وعندما فتحت عيناي شعرت بحركة في الغرفة لم استطع تحريك رقبتي وارى من الموجود فأكتفيت بالكلام، فكانت الممرضة فطلبت منها ان تنادي الطبيب المسؤول عني، عندما جاء الطبيب كان مبتهج كوني استيقظت واخبرني مضى على نومي حوالي خمس ايام ونصف!

فسألته عن زملائي فأخبرني الحادث الذي حصل في المطعم اسفر عن قتل ثلاثة عشر شخص منهم اثنان من زملائي وهناك العديد من الجرحى والاصابات الخطرة

فقلت له وانا كيف هي حالتي؟ فقال لي اني متعرض للكسر في القدم والجمجمة واحد الاضلاع وبعض الشظايا!

فقلت له: متى سأكون بصحة جيدة واقوى على الحركة؟

فقال لي: اني احتاج من شهر الى ثلاث شهور كحد ادنى وستبقى اصاباتي تمنعني لأعود كما كنت مسبقاً ولا يمكنني المشاركة في العمليات العسكرية

شعرت بالضعف وقتها وبالغضب الشديد، طلب مني الدكتور ان اتصل بأهلي لأني سأمكث بالمستشفى طويلاً،

وبعدها زارني بعض المسؤولين العسكريين وشكروني على مجهودي السابق في الحرب على الارهاب كلماتهم كانت كأنهم ينهون خدماتي العسكرية ويخبروني لقد خدمت بما فيه الكفاية!

كنت شديد الغضب كوني لا استطيع القتال مرة اخرى والاكثر شيء سبب لي الازعاج والقلق هو اني لا استطيع ان اساعد اسراء او البحث عنها

غايتي الرئيسية للوصول الى الموصل لم احققها وانا الان عاجز ولا اعلم اين هي؟

وقد يلقون القبض عليها في اي لحظة!

وبهذا خسرت صحتي ورتبتي العسكرية واسراء لم ابكي منذ سنوات لكن الان انا ابكي بحرقة واتمنى اني لم اذهب الى ذلك المطعم وشعرت كل شيء اغلق بوجهي!

نمت ووجدت نفسي احلم حلم مماثل لما رأيته في وقت الحادث عندما خرجت روحي خارج جسدي ورأيت جسدي في الاسفل كان هناك اربع بيوت متهدمة وداخلهم نور وعندما اقتربت كانت اسراء هي النور!

فاستيقظت وانا متفاجأ مما رأيت وحاولت استذكر ما رأيت بالتفصيل ولاسيما موقع تلك البيوت الاربع، هل فعلاً ان اسراء داخلها؟

هل هي في هذا الجانب من المدينة ولم تعبر الحدود السورية كما يشاع عنها؟

هل هي قريبة مني وبداخل تلك البيوت؟

تمنيت وقتها استطيع الحركة وانهض مسرعاً واذهب وابحث عنها في جميع الاحياء واخذها بعيداً!

ولكني لا استطيع ان اتحرك بسبب الكسور في قدمي وصدري، لا استطيع ان اصبر طويلاً؟

طلبت من الممرضة ان تشحن هاتفي وتعطيني اياه وبعدها بدأت ابحث في الارقام واراجع قائمة اصدقائي اي منهم ممكن ان يساعدني؟ بحيث عندما اخبره عن اسراء يقف معي ومعها ولا يسلمها الى للقوات الامنية.

ولكن للأسف لم اجد اي شخص، عدا رجل تذكرته في احد الايام وجاء واخبرنا انه يعرف اسراء واخبرنها عن دورها في تعطيل بعض مدافع داعش

وتذكرت اني اعطيته رقمي واتصل بي واخبرني اسراء بريئة والقاء القبض عليها ومعاملتها كالمجرمة خطأ فادح ولكني لم اخبره وقتها اني اؤيده واريد مساعدتها والان هو الشخص الوحيد الذي ممكن ان اثق به واخبره اين تتواجد اسراء حسب اعتقادي وفعلاً اتصلت به وطلبت منه المجيء الى المستشفى ولقائي وعندما وصل طلبت منه ان يوعدني ان

يبقى محادثتي معه سرية ولا يخرب اي احد فوجدته كان مهتم بما سأخبره ووعدني فأخبرته قصتي مع اسراء منذ البداية منذ لقائها عندما كنت مجرد طالب في المدرسة.

واخبرته ما حصل لوالدها حتى اني اخبرته اني تطوعت في القوات الخاصة فقط لتكون لي فرصة لقاءها كما اخبرته المصير الاسود الذي ينتظرها عندما يتم امساكها من قبل الحكومة

كان الرجل مصدوم مني وكأنه لا يستوعب ما قلت له وبقي ينظر لي بعمق وصمت لفترة طويلة وبعدها خلع نظاراته الطبية وبدأ بمسحها وقال لي: طيب ما هي خطتك يا سيدي؟

قلت له: اعلم اني الان عاجز عن الحركة وشفائي يتطلب وقت لهذا اريدك منك ان تجد اسراء وتخفيها وتحميها!

فقال لي: وهل ايجادها ممكن؟

قلت له: اعتقد اني اعرف اين تتواجد حالياً؟

تفاجئ الرجل وقال: كيف تعرف؟ واين هي الان؟

قلت له: لا احب اخبرك الطريقة التي جعلتني اعرف اين هي الان ولكن اريدك ان توعدني انك ستبحث عنها

فقال لي الرجل: الصراحة انا اعتبرها مثل ابنتي ولن انسى فضلها وسأجتهد في البحث عنها لكن اين؟ البعض يقول انها في الجانب الايمن من المدينة وكما تعلم العمليات العسكرية لتحريره ستبدأ قريباً ولا يمكنني الذهاب هناك

فقلت له: انها هنا في هذا الجانب..قرب اربع بيوت مهدمة!

نظر لي الرجل باستغراب وقال: في اي حي تقع هذه البيوت؟

فقلت له: لا اعرف! كل الذي اعرفه انها الان قرب بيوت اربعه متهدمة

فقال لي: وهل تطلب مني ابحث في جميع الاحياء حتى اجدها؟

قلت له: الاهم انك تعرف اين تبحث! هي داخل احدى هذهِ البيوت! يعني ليست في مكان اخر كمدرسة او معمل او مسجد وغيرها

نهض الرجل ليغادر وقال: سأجتهد في البحث واتصل بك في حالة العثور عليها

كنت متأمل ان يجدها هناك ولكن نفس الوقت بدأت اشك بما رأيته في حلمي هل فعلاً انها قرب تلك البيوت؟ ام انا مجرد اهذي؟

عاد لي الرجل بعد ثلاثة ايام ومعه خريطة لجانب الايسر من المدينة واخبرني انظر للخريطة وكان قد قام بتأشير الاحياء التي بحث فيها ولم يبقى له سوى 6 احياء وانه وجد بيوت متهدمة كثيرة لكن لم يجد اربع بيوت قرب بعضها بعض كما وصفت له.

كنت اصلي كل دقيقة ان يجدها ونأخذها لمكان أمن..

كما ان الفتاة التي اسمها جنان اتصلت بي واخبرتني كل شيء تم تجهيزه من جواز سفر وغيرها من الترتيبات اللازمة لسفر..

ـ 25 ـ

كانت ليلى تجلب لي الطعام والماء وتجلس قليلاً تتحدث معي وحتى أعطتني اوراق واقلام تلوين لكي ارسم فيها كما انها جلبت لي الحليب لكي اعطي القطط.

كنت احب هذهِ الفتاة التي تقف لجانبي وتجلب لي الطعام من دون اي شرط او مقابل حتى انها لم تكن تزعجني بالأسئلة لكنها كانت دائماً تحذرني ان لا اخرج وابقي نفسي مخفية

كنت استطيع الخروج وكلي ثقة بنفسي بأنه لا يستطيع احد قتلي او احتجازي لكن من اجل ليلى لم اخرج فلا احب ان اجعل هذهِ الفتاة الطيبة تشعر بالقلق علي

وفي احد الايام جاءت ليلى تركض وهي خائفة وقالت لي اختبئي بسرعة انه قادم، فحاولت ان اعرف ما يجري فقالت لي:

- ان هناك رجل كان يوقف سيارته بالمقربة مني وعندما رأى ليلى اتبعها الى هنا!

كانت ليلى ترتجف وتبكي فحاولت ان اطمئنها اني سأكون بخير فقمت وخرجت من تلك الزاوية الصغيرة حيث هذه البيوت المتهدمة كان فيها الكثير من الاماكن للاختباء لكني اخترت الخروج ومواجهة هذا الرجل

الذي اقترب مني ولكن هذا الرجل لم يكن كما تصورته انا وليلى حيث ناداني بإسمي وطلب مني ان أهدئ ولا احدث ضجة وكان ايضاً قد جلب لي الطعام لكن ليلى منعتني عن اخذه منه ونظرت للرجل وصرخت بغضب:

- ما الذي يثبت ان هذا الطعام لا يحتوي شيء لقتلها او يمرضها؟!
- ما الذي يثبت انك لا تريد تسليمها للحكومة؟!

فقال لي الرجل: اسراء الا تتذكريني؟ انا الرجل قبل 5 اشهر طلبت منك مساعدتي لتخريب مدافع داعش قرب بيتنا؟

فنظرت له وتذكرته انه الرجل الذي علمني كيف اخرب المدافع بطريقة ذكية! فقلت له:

- هل انت اب خلود؟

فابتسم وقال: نعم انا هو

قلت له: وكيف حالتها الان؟

فقال لي: انها بصحة جيدة والحمد لله ولا انسى فضلك علينا

قلت له: كيف علمت انا هنا؟

قال لي: اخبرني بمكانك شخص اسمة ياسر متنسب بالقوات الخاصة!

فشعرت بالاستغراب مما يقوله!

لكن ليلى بدأت بالصياح على الرجل وتقول له اذن انت متعاون مع رجل بالقوات الخاصة وتريد تسليم اسراء اليه؟

كان اب خلود يحاول ان يهدئها بعدها نظر لي وقال: يا ابنتي قد عانيتي كثيراً وحان الوقت لتعيشي بسلام، هذا الرجل قد اخبرني قصته وانه يعرفك منذ سنوات فأتمنى ان تثقي بي وترافقني الى البيت.

شعرت اني يجب ان اتبع قلبي وقلبي يخبرني ان اثق بأب خلود وان أقابل المدعو ياسر واسأله ماذا يعرف عني؟

قد يكون المفتاح لأتذكر وافهم ما يجري لي؟

اشعر اني تائهه ولا اعلم ماذا حصل لي ومن انا؟!

قلت لليلى التي كانت تبكي بحرقة ان تستمر بالمجيء بين فترة واخرى وتعتني بالقطط، ذهبت مع اب خلود الذي اعطاني الحجاب والعباية وقال لي يجب ان اخفي نفسي حتى نصل للبيت وعندما وصلنا لبيته وجدت ترحيب كبير من زوجته وابنته خلود وحتى تم تخصيص غرفة خاصة لي في الطابق الثاني وقال لي ان ابقى بالبيت ولا اخرج حتى يأتي ياسر فسألته متى سيأتي؟

قال لي: ربما شهر لان اصابته تمنعه من الحركة!

فطوال تلك الفترة كنت افكر بياسر فلقد اخبرني اب خلود عن شجاعته وعزيمته ليلتقي بي وكيف تطوع بالقوات الخاصة وشارك بالحرب حتى فقط يقابلني والاهم من كل هذا يقول انه يعرفني منذ سنوات هل يا ترى سأتذكره؟

ـ 26 ـ

حياتي بالمستشفى صعبة فلقد كنت اخشى ان لا يجد الرجل اسراء لأنه مضى له خمسة عشر يوم ولا يرد على اتصالاتي ولا يزورني

حاولت كثيراً ان انهض ولكن جسدي يؤلمني والطبيب قال لي اني احتاج فترة حتى اقوى على الحركة وقتها كنت اشعر ما يحصل ليس عدلاً!

فلماذا تعرضت لهذهِ الاصابات؟ لماذا حظي سيء؟

خضت فترة التدريب والحروب حتى وصلت للمعركة النهائية فلا استطيع المشاركة؟

كنت كثير ما اشعر بالغضب واردد: لماذا حصل لي هكذا يا الله؟

اخذت الهاتف وبدأت بالاتصال بالرجل وما ان يقطع خط الاتصال حتى اعود واتصل واستمريت طويلاً حتى فاجأني ودخل لي بالغرفة

فقلت له: انت هنا؟ لماذا لا ترد على اتصالاتي؟

فقال لي: لقد وجدتها يا ياسر

عندما قال لي «لقد وجدتها» وكان يبتسم بكل ثقة وسعادة شعرت بشعور غريب حيث كأني اسمع دقات قلبي السريعة

فقلت له: اين؟

قال لي: كما وصفت لي انها فعلاً كانت قرب بيوت اربع متهدمة وهي الان في بيتي واخبرتها عنك وهي تنتظر لتقابلك!

كنت متحمس جداً وسعيد سعادة لا توصف وشكرت ابو خلود كثيراً وقلت له معاتباً:

- لماذا لم تخبرني منذ اول يوم وجدتها به؟

فقال لي: حتى اخر لحظة لم اكن اريد اخبارك لولا لم تلح علي باتصالاتك

قلت له منفعلاً: لماذا؟

قال لي: لابد ان تتلقى علاجك الكامل وتصبر، كنت اخشى ان تترك المستشفى عندما اخبرك وانت لاتزال مريض

فقال لي: نعم لابد ان اغادر فوراً واذهب لمقابلتها فنحن لا نملك وقت كاف

فرفض اب خلود بشدة وقال لي يجب ان اكون بصحة جيدة لأقابلها واتحدث اليها ومن ثم السفر معها وهي الان بأمان معه.

وفعلاً بقيت انتظر وخلال تلك الفترة حرصت ان لا تعرف امي وابي اني مصاب فأخبرتهم اني من المشاركين في معارك الجانب الايمن التي تجري الان

وبعد شهرين اخبرني الطبيب ان الكسور في صدري وقدمي قد تم التئاما واعطاني نصائح في النظام الغذائي الذي يجب ان اتبعه والاطعمة التي تساعد على تقوية عظامي، كنت مندفع للخروج ومقابلة اسراء واخيراً

جاء اب خلود ليوصلني، كنت اشعر بالسعادة الشديدة والرغبة في رؤيتها وما ان دخلت وجدتها كانت جميلة جداً ومتغيرة عما كنت اجدها عليه في الصور، كنت اعلم انها لن تتذكرني بسرعة لأني تغيرت كثيراً في مظهري فأخبرتها عن نفسي والغريب هي كانت ايضاً متحمسة لسماعي وغيرت موقع جلوسها وجاءت قربي واثناء كلامي معها واحاول اذكرها بحادثه قتل ابيها بدأت دموعها تنغمر وكأنها تتذكر وبعد ان وصلت الى الجزء الذي اخبرها انهم سافروا للموصل مع خالهم وقفت اسراء وكأنها نهضت من غيبوبة وكانت تبكي وتقول: اتذكر كل شيء

اخذتها ام خلود الى غرفتها كونها كانت منهارة فعلمت ان ذكرياتها سيئة من قتل امها واخيها واحتجازها من قبل الامريكان عدا الشخص الذي يعرف باسم مهند فلم اكن اعرف اي معلومة عنه، حتى هي مستقبلاً اخبرتني عنه. بعد ان استجمعت قواها اسراء عادت وشكرتني كثيراً لأني جعلتها تتذكر ولأني سعيت لأصل اليها.

بعدها كنت منحرج ومتردد من اخبارها اني اريد ان اسافر معها ولكن اب خلود ساعدني في ذلك وللحظة توقعتها ترفضني لكن بالعكس كانت سعيدة جداً!

فعرضت عليها الزواج فوافقت وبمساعدة اب خلود تم احضار شيخ يعقد علينا من غير ان يعرف قصتها وقصتي وتم استكمال إجراءات زواجي منها وحاولت ان اقدم معاملات لأخذ اجازة علاجية خارج البلد وكل شيء سار كيفما أريده بل وجدت لولا تعرضي لذلك الحادث الارهابي لما تمكنت ان اجد اسراء بسهولة وحتى تسهيل اجراءات سفري بحجة العلاج تم تسهيلها كوني منتسب للقوات العسكرية اما اسراء واخفاء هويتها فلم

يكن صعب فتحولت من فتاة كان الجميع يعرفها بشعرها الاسود الطويل وملابسها القصيرة الى فتاة محجبة ومحتشمة وبمساعدة جنان تمكنت من السفر معي والغريب مع الايام رجعت اسراء تستمع الى اصوات الرصاص والانفجارات ومنها تأكدت انها عادت فتاة طبيعية ولم تعد تتميز بقدرات غير طبيعية

وعشت معها بسعادة وكثير ماكنت ارسل صوري معها لامي التي انصدمت من سفري وزواجي المفاجأة وزعلت مني لكنها مع الايام تقبلت الواقع واحبت اسراء كثيراً لانها جعلتني سعيد.

عندما تبدأ الحرب في منطقة ما سكان تلك المنطقة يتجردوا من روتين الحياة العادية التي يتمتع بها السكان فالروتين ينكسر في ارض الحرب والمعجزات تظهر يومياً، ستظهر الابتلاءات والاختبارات وستكثر الاموات والظلم!

وستظهر اشياء وحالات غريبة فأرض الحرب تتعرض يومياً الى انفجار يهز ارضها كالزلزال وتكثر الحرائق والدماء والضجيج!

دائرة الحرب من يعيش فيها لن يبقى انسان عادي بل سينضج وسيعرف قيمة الحياة جيداً وان نجى منها سيكون قوي!

سيفهم ان كل شيء تعرض له لحكمة وان وراء الغيوم السوداء والألم هناك هدايا ربانية عظيمة.

قد يشهد الانسان عدة حوادث وجرائم وحروب في حياته سواء حصلت له او حوله فتطبع في ذهنه وتكرر في خواطره وكوابيسه فماذا يفعل ليتخلص من الماضي اذا كان يتكرر بين فترة واخرى في حاضرة؟

اسماء التنظيمات وشخصيات الرواية هي من وحي الخيال وفي حال تشابهه مما هو موجود مع الواقع فهو محض الصدفة.